مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الأقصى للدراسات

الإسراء

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا

العدد الخامس والتسعون 95
ربيع الأول - ربيع الثاني
1432 هـ - 2011 م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصـــدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 95 ربيع الأول ـ ربيع الثاني 1432 هـ ـ 2011م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ

المشرف العـــام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحريـــر

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحـــرير

أ. عطا الله عبد الله فلاحين

هيئة التحـــرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

تصميم ومونتاج : يوسف تيسير محمود

المراسلات: مجلة الإسراء ، مديرية العلاقات العامة والإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 ـ القدس / ص.ب : 1862 رام الله ـ تلفاكس : 02 ـ 6262495 / 02 ـ 2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

فهرس العدد

افتتاحية العدد

مولد البشير النذير صلى الله عليه وسلم — الشيخ محمد أحمد حسين — 4

كلمة العدد

تأملات في ذكرى المولد النبوي الشريف — الشيخ إبراهيم خليل عوض الله — 9

ملف العدد

نفحات إيمانية في ذكرى مولد رسول الإنسانية — د. شفيق عياش — 16

في ذكرى المولد النبوي الشريف الرحمة المهداة — د. خالد الغزاوي — 20

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ

ميلاد رسول الله عيسى بن مريم العذراء البتول عليهما الصلاة والسلام — أ. هيام جرار — 25

العلاقة بين المسيحيين والمسلمين — د. حنا عيسى — 32

مسجد يئن

ذكرى مجزرة المسجد الإبراهيمي بالخليل — أ.محمد سليم شبانة — 35

فقه

أنت تسأل والمفتي يجيب	الشيخ محمد حسين	37
التبني في الشريعة الإسلامية	الشيخ عمار توفيق بدوي	44
حكم الاشتراك في العقيقة	مديرية البحوث والتخطيط	55

بحث العدد

الخوف من الإسلام في الغرب حقيقة أم وهم؟	د. حمزة ذيب	60

علاقات أسرية

المرأة العاملة ما لها وما عليها	الشيخ أحمد خالد شوباش	79
جابر والجمل	أ. هيا القاسم	84

اللسان ... ضوابط وآفات

اللسان في الميزان	الشيخ جميل جمعة	89
الكلام والصمت	أ. كمال بواطنه	95

نشاطات ...

مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء	الأستاذ مصطفى أعرج	100
مسابقة العدد 95	أسرة التحرير	110
إجابة مسابقة العدد 93	أسرة التحرير	111

افتتاحية العدد

مولد البشير النذير صلى الله عليه وسلم

الشيخ / محمد أحمد حسين ـ المشرف العام

في حديث صحيح عن أبي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، رضي الله عنه، أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذكر يوم ولادته وبعثته، وذلك في معرض إجابته عن استفسار خاص بصوم يوم الإثنين، فعنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن صَوْمِ يَوْمِ الاثنين. قال: (ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فيه، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أو أُنْزِلَ عَلَيَّ فيه...). (صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله).

فهنيئاً لك يا يوم الإثنين أن شهدت هذين الخيرين العظيمين؛ يوم ولادة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، ويوم بعثته هادياً للعالمين، بشيراً ونذيراً، والله تعالى يقول: {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً} (الإسراء:105).

فقد بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يبشر من اهتدى، وينذر من ضل وغوى واعتدى، وهو بذلك رحمة مهداة، ونعمة مزجاة، والله تعالى يخاطبه فيقول: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} (الأنبياء:107).

ورسالته تستهدف عموم الإنس والجن، منذ بعثته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فيقول سبحانه: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (سبأ:28).

والله تعالى بشر المحسن بالحسنى، والمسيء بالسوء، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} (غافر:40).

وقد زفَّ الرسول صلى الله عليه وسلم للناس بشائر الخير، فحدثهم عن الجنة ونعيمها، وأنها مأوى من اهتدى، وعمل بما الله ارتضى، ومما ورد في القرآن الكريم منها، قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:62).

ومنها ما نص عليه قوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (النحل:97).

ولم يقتصر التبشير بالخير على ما ورد في القرآن الكريم، بل حدَّث الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته عن ذلك، ومما ورد بشأن بشائر الأمن والنصر والتمكين للمؤمنين في الدنيا، ما روي عن خَبَّابِ بن الْأَرَتِّ، قال: (شَكَوْنَا إلى رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا له: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تَدْعُو اللَّهَ لنا؟ قال: كان الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض، فَيُجْعَلُ فيه، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ على رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ من عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، والله لَيُتِمَّنَّ هذا الْأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرَّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللَّهَ أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ).

(صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام).

ومن أحاديث البشائر ما ورد من بشرى لصالح المؤمنين بخير الآخرة، فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي

الصَّالِحِينَ؛ ما لَا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ، فاقرؤوا إن شِئْتُمْ {فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أَعْيُنٍ}). (صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً).

وفي مقابل التبشير بالخير، فقد أنذر الرسول صلى الله عليه وسلم الخلق عاقبة الكفر والضلال، حيث ضنك العيش، وسعير النار، يقول تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} (طه:124).

ومن أبرز النذير الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه في القرآن الكريم، ما ورد في النذير من هول الجحيم، المتمثل في نار جهنم؛ مآل الظالمين المستكبرين؛ الذين أعرضوا عن ذكر الله، فسوف تتلقاهم جهنم بزفيرها وشهيقها، وتتلقفهم بالتأنيب والتقريع، حيث لم يستجيبوا للنذير، مصداقاً لقوله تعالى في وصف بعض أحوالها: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} (الملك:8).

وورد النذير من النار في سنة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث الصحيح يقول صلى الله عليه وسلم: (وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ من النَّارِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلَاثًا). (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم).

وحذر صلى الله عليه وسلم العرب من الخَبَث، ومن شر يأجوج ومأجوج، فعن زَيْنَبَ ابنة جَحْشٍ رضي الله عَنْهُا: (أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فَزِعًا يقول: لَا إِلَهَ إلا الله، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ من شَرٍّ قد اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ من رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذه؛ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. قالت: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟! قال: نعم، إذا كَثُرَ الْخَبَثُ). (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج).

فهكذا جاء صلى الله عليه وسلم بشيراً ونذيراً، داعياً إلى الله على بصيرة، فمن اهتدى

فلنفسه، ومن أساء فعليها، قال تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}. (فصلت:46).

وهو الشاهد البشير النذير، في ضوء ما كلفه رب العالمين، حيث قال سبحانه: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً} (الفتح:8) ونحن معه وعلى دربه من الشاهدين، عملاً بقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً ...} (البقرة:143).

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل:89).

وعلى الرغم من تبليغ الرسول صلى الله عليه وسلم الإنذارات والبشائر الغيبية للخلق، فإنه لم يتعد حدوده، ولم يتجاوز مقام النبوة إلى مقام الألوهية بحال من الأحوال، وإنما بلغ العالمين أنه ليس إلا بشراً رسولاً، مصداقاً لما ورد في القرآن الكريم: {...قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً} (الإسراء:93).

ويوم أحد حين تخضب وجهه بالدم، قال: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم؟!) فأنزل الله قوله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} (فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء).

كيف لا؟ وهو الذي يبلغ عن الله قوله تعالى: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف:188).

ويبلغ غير ذلك من آيات الله القرآنية الكثيرة التي تفصح عن حدودٍ ينبغي أن يستوعبها الأتباع من بعده، فيقول تعالى: {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً} (النساء:79)

فالرسول يبلغ، وعلى الناس الطاعة والاستجابة، والأمر أولاً وأخيراً يبقى لله الواحد القهار، وهو القائل سبحانه: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً} (النساء:80).

ويقول تعالى: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (الأحقاف:9).

فإذا كانت هذه حدود للنبي المصطفى عليه الصلاة والسلام، فمن باب أولى أن لا يتجاوزها الخلق، وهم يتعاملون مع عظماء البشر، وينعتون رموزهم وقادتهم، فهم وإياهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، والكل سيأتي الرحمن للحساب فرداً، مصداقاً لوعيد الله الوارد في قوله تعالى: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً} (مريم:95)، وقوله تعالى: {وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً} (مريم:80).

فأمر الضلال والهدى، بيد علام الغيوب، ولن يجد الضالون مناصاً من العذاب العظيم، والله تعالى يقول: {وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ} (الشورى:44).

جعلنا الله ممن ربحوا البيع، وفازوا بالبشرى والرحمة والهدى، وعلى درب محمد صلى الله عليه وسلم نسير، عملاً بقوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً} (الأحزاب:21).

ونحن سنبقى بإذن الله مع من قال الله فيهم: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (الحج:78).

كلمة العدد

تأملات في ذكرى المولد النبوي الشريف

الشيخ / إبراهيم خليل عوض الله - رئيس التحرير

تتزامن ذكرى المولد النبوي الشريف هذا العام في مثل العديد من الأعوام السالفة، مع الحملات المسعورة التي تشن على الإسلام ورموزه ظلماً وعدواناً، فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم جاء إلى العالمين برسالة السماء عن ربه، ليهديهم طريق الحق ويصرفهم عن الضلال والغواية، جاء لينقذهم من براثن الفساد وظلمات الجهل، إلى نور العلم والإيمان والصلاح، ومنذ ولادة الدعوة الإسلامية حاول أعداؤها وأدها في مهدها، ديدن الظالمين في كل زمان مع دعوات النبيين والمرسلين عليهم السلام، فالمعرضون عن الهدى كُثْرٌ، مصداقاً لقوله تعالى:{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ* بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} (فصلت:3 - 4)

ومع ذلك فإن دعوة الإسلام التي أرسل بها الهادي محمد صلى الله عليه وسلم تتنامى ويتسع انتشارها، رغم أنف الكارهين والمتربصين، فها هي وصلت أنحاء الدنيا بقدرة الله، ولا يكاد موضع في الأرض يخلو من المسلمين، وفي الوقت الذي نسمع فيه عن محاولة النيل من احترام الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل زُمرٍ من الحاقدين، فإننا نسمع عن حالاتٍ ومواقف من التأييد والفداء للرسول صلى الله عليه وسلم، ويحدث هذا من ناطقين بالعربية، وممن لم يعرفوا العربية، وإنما أشربوا في قلوبهم حب الإسلام

ورسوله عليه الصلاة والسلام، لا نذكر هذا من قبيل التباهي والتفاخر والتعالي على الخلق، وتسجيل النقاط عليهم، وإنما هي الحقيقة التي يحاول بعض الناس حجب شمسها وإطفاء نورها، فدعوة الإسلام عالمية، وهي دعوة هداية ورشاد، وليست دعوة شخصية وتكسب وجني لحظوظ دونية، ويجب أن لا تغيب هذه الحقيقة عن أذهان حامليها في كل زمان ومكان، فينطلق سرورهم بكثرة المسلمين وتزايد عددهم من النتيجة التي آلت إليها أحوال الخلق، بانتقالهم إلى الله والرشاد.

وأعداء الحق عبر الزمان يكرهون نجاح دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويحاربونها وحملَتها بكل ما أوتوا من قوة وبطش، لكن الله لهم بالمرصاد، وهو القائل سبحانه: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (التوبة:32)

ويقول سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} (الصف:9)، ويأتي وعد الله بإظهار دين الإسلام وحفظه من كيد المتآمرين عليه، تمشياً مع وعده سبحانه بإحقاق الحق وإبطال الباطل، يقول تعالى: {لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} (الأنفال:8)، وتشكل هذه الوعود دافعاً لحملة دعوة الإسلام ليستمروا في طريقهم على نهج الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد أمرهم الله بهذا في محكم التنزيل، فقال تعالى: {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (غافر:14) فالله معكم ولن يتركم أعمالكم، أما الذين ظلموا وكفروا وفسقوا، فالله لهم بالمرصاد، وقد أنذرهم ذلك، فقال جل شأنه: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (محمد:28) ومكر أولئك سيبور، وستحبط أعمالهم، مهما عظم كيدهم ضد الحق وأهله، قال تعالى: {وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} (إبراهيم:46)

فعلى الرغم من فظاعة الحملات المضادة للرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته ودينه وأتباعه، فإن النور المبين الذي حمله ما زال يسطع، بل يزداد سطوعاً في ربوع العالمين، والله تعالى يقول: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} (الفرقان:1) ويقول سبحانه: {كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}(الأعراف:2)

وقد استوقفني خبر منسوب لصحيفة الإندبندنت البريطانية عن انتشار الإسلام في بريطانيا، فتحت عنوان: (البريطانيون يدخلون الإسلام أفواجاً)، ورد في بعض المواقع الإلكترونية، أن صحيفة الإندبندنت كتبت أن واحدة من أشمل المحاولات لإحصاء عدد البريطانيين الذين يعتنقون الإسلام، تبين أن العدد تضاعف تقريباً خلال العقد الماضي. وتقول الصحيفة: ورغم الصورة السلبية الرائجة غالباً عن الإسلام، فما زال البريطانيون يدخلون في هذا الدين أفواجاً كل عام.

وقد حددت التقديرات السابقة عدد المسلمين الجدد في بريطانيا ما بين 14 ألفاً و25 ألفاً.

لكن دراسة جديدة لمجموعة فيث ماترز الفكرية ترى أن العدد الحقيقي يمكن أن يكون أعلى من 100 ألف، بالإضافة إلى أكثر من 5000 حالة هداية جديدة في أنحاء البلد كل عام.

وتضيف الإندبندنت: وإجمالاً قدر الباحثون عدد المسلمين في بريطانيا عام 2001م بـ60699، وهذه الأرقام مشابهة لدراسات في ألمانيا وفرنسا، وجدت أن هناك نحو 4000 هداية كل عام، ودرس تقرير فيث ماترز أيضاً الطريقة التي تصور بها وسائل الإعلام المسلمين الجدد، ووجدت أن 32 % من المقالات عن الإسلام المنشورة منذ عام 2001م كانت مرتبطة بالإرهاب أو التطرف، وقد قفز الرقم إلى

62 % بخصوص المسلمين الجدد، فالإسلام من أسهل الديانات التي تُعتنق؛ لأن كل ما يحتاجه المرء هو النطق بشهادة الإسلام المعروفة: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». والنطق بها بإخلاص هو كل المطلوب ليكون الشخص مسلماً.

وذكرت الصحيفة نماذج لمسلمين جدد من الشباب البريطاني، وأسباب اعتناقهم للإسلام، ومنها مصادقة بعض المسلمين، وفضولهم لعدم رغبة بعضهم في ارتياد النوادي أو الاختلاط، وبعضهم كان يرى في الإسلام امتداداً طبيعياً للمسيحية، وهذا ما جعله يهتدي، حتى إن بعض الفتيات البريطانيات لم يستغرقن وقتاً طويلاً في ارتداء الحجاب؛ لأنهن اعتبرنه معنى مهماً في الإسلام، وليس مجرد لباس مظهر، لأنه رمز للتواضع في كل شيء يفعلنه، وكانت العنصرية تحكم بعضهم، لكنهم عندما تعرفوا إلى الإسلام عن كثب تغير حالهم، ورجعوا إلى بريطانيا وقرروا اعتناق الإسلام. (الاندبندنت)

وينسجم هذا التقرير مع ما ثبت في صحاح السنة النبوية المشرفة أنه كان من علامات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن أتباعه يزيدون ولا ينقصون، وأنه لا يرجع أحد دخل الإسلام بصدق وإيمان، ففي حديث طويل صحيح عن عَبْد اللَّهِ بن عَبَّاسٍ، يتضمن حواراً دار بين هرقل عظيم الروم وقتئذ، وبين أبي سفيان قبل أن يسلم، ويبرز هذا الحديث بعض علامات نبوته صلى الله عليه وسلم لدى الأمم والأديان السابقة، فعن ابن عَبَّاسٍ، قال: حدثني أبو سُفْيَانَ من فيه إلى فِيَّ، قال: انْطَلَقْتُ في الْمُدَّةِ التي كانت بَيْنِي وَبَيْنَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قال فَبَيْنَا أنا بالشام، إذْ جِيءَ بِكِتَابٍ من النبي صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ، قال: وكان دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جاء بِهِ، فَدَفَعَهُ إلى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إلى هِرَقْلَ، قال: فقال هِرَقْلُ: هل هَا هُنَا أَحَدٌ من قَوْمِ هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالُوا: نعم، قال: فَدُعِيتُ في نَفَرٍ من قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا على هِرَقْلَ، فَأُجْلِسْنَا بين يَدَيْهِ، فقال: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا من هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فقال أبو سُفْيَانَ:

فقلت: أنا. فَأَجْلَسُونِي بين يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فقال: قُلْ لهم: إني سَائِلٌ هذا عن هذا الرَّجُلِ الذي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فإن كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ.

قال أبو سُفْيَانَ: وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ.

ثُمَّ قال لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قال: قلت: هو فِينَا ذُو حَسَبٍ.

قال: فَهَلْ كان من آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قال: قلت: لَا.

قال: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ، قبل أَنْ يَقُولَ ما قال؟ قلت: لَا.

قال: أَيَتَّبِعُهُ أَشْرَافُ الناس، أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قال: قلت: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ.

قال: يَزِيدُونَ أو يَنْقُصُونَ؟ قال: قلت: لَا بَلْ يَزِيدُونَ.

قال: هل يَرْتَدُّ أَحَدٌ منهم عن دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فيه سَخْطَةً له؟ قال: قلت: لَا.

قال: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قال: قلت: نعم.

قال: فَكَيْفَ كان قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قال: قلت: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يُصِيبُ مِنَّا، وَنُصِيبُ منه.

قال: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قال: قلت: لَا، وَنَحْنُ منه في هذه الْمُدَّةِ، لَا نَدْرِي ما هو صَانِعٌ فيها. قال: والله ما أَمْكَنَنِي من كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فيها شيئاً غير هذه.

قال: فَهَلْ قال هذا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قلت: لَا.

ثُمَّ قال لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ له إني سَأَلْتُكَ عن حَسَبِهِ فِيكُمْ؛ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ في أَحْسَابِ قَوْمِهَا.

وَسَأَلْتُكَ: هل كان في آبَائِهِ مَلِكٌ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا؛ فقلت: لو كان من آبَائِهِ مَلِكٌ، قلت رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ.

وَسَأَلْتُكَ عن أَتْبَاعِهِ؛ أَضُعَفَاؤُهُمْ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَقلت بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ؛ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ.

وَسَأَلْتُكَ: هل كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قبل أَنْ يَقُولَ ما قال؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا؛ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ

لم يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ على الناس، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ على اللَّهِ.

وَسَأَلْتُكَ: هل يَرْتَدُّ أَحَدٌ منهم عن دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فيه سَخْطَةً له؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا؛ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ إذا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ.

وَسَأَلْتُكَ: هل يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يُزِيدُونَ؛ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حتى يَتِمَّ.

وَسَأَلْتُكَ: هل قَاتَلْتُمُوهُ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ، وَتَنَالُونَ منه؛ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى، ثُمَّ تَكُونُ لهم الْعَاقِبَةُ.

وَسَأَلْتُكَ: هل يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ؛ وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ.

وَسَأَلْتُكَ: هل قال أَحَدٌ هذا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا؛ فقلت: لو كان قال هذا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ، قلت رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

قال: ثُمَّ قال: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قال: قلت: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْعَفَافِ. قال: إن يَكُ ما تَقُولُ فيه حَقًّا؛ فإنه نَبِيٌّ، وقد كنت أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، ولم أَكُ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إليه لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كنت عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ ما تَحْتَ قَدَمَيَّ.

قال: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَرَأَهُ، فإذا فيه: بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرَّحِيمِ، من مُحَمَّدٍ رسول اللَّهِ، إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ على من اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ؛ فإن عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ، وَقل يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ألا نَعْبُدَ إلا اللَّهَ...إلى قَوْلِهِ: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

فلما فَرَغَ من قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، ارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ عِنْدَهُ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا.

قال: فقلت لِأَصْحَابِي حين خَرَجْنَا: لقد أَمِرَ أَمْرُ بن أبي كَبْشَةَ، إنه لَيَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ، فما زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ سَيَظْهَرُ، حتى أَدْخَلَ الله عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

قال الزُّهْرِيُّ: (فَدَعَا هِرَقْلُ عُظَمَاءَ الرُّومِ، فَجَمَعَهُمْ فِي دَارٍ له، فقال: يا مَعْشَرَ الرُّومِ، هل لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرَّشَدِ آخِرَ الْأَبَدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ؟ قال: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إلى الْأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قد غُلِّقَتْ، فقال: عَلَيَّ بِهِمْ، فَدَعَا بِهِمْ، فقال: إني إنما اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ على دِينِكُمْ، فَقَدْ رأيت مِنْكُمْ الذي أَحْبَبْتُ، فَسَجَدُوا له وَرَضُوا عنه).

(صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن (سورة آل عمران)، باب قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ...)

وفي المتنكرين للحق ومن لف لفهم، واتبع منهجهم في الإعراض عن ذكر الرحمن الذي بعث به نبي الله ورسوله للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم، يصدق قول الله تعالى: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...} (الشورى:48).

وقوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة:159).

هذا إذا كانوا كذبوا بالحق وهم يعلمون، وأما إن كانوا كذبوا به دون علم، فيصدق فيهم وعيد الله: {بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} (يونس:39).

أما من تنكب درب الهدى فسيضل ويشقى، {إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ} (الزمر:41).

وصاحب هذه الذكرى العطرة الرسول الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ما هو إلا نذير للناس أجمعين، {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (الحج:49)، {قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} (الملك:26).

ملف العدد

نفحات إيمانية

في ذكرى مولد رسول الإنسانية

الدكتور شفيق عياش / جامعة القدس

كلما أهل علينا شهر ربيع الأول من كل عام، يحتفل المسلمون في كل مكان بذكرى مولده صلى الله عليه وسلم، وذلك بسماع القصائد، وأنغام المديح، وروائع الكلمات، ثم تطوى الذكرى، ويتلاشى صداها مع زحمة الحياة المادية الصاخبة، ويستمر المسلمون في سباتهم العميق، مستسلمين للذل والهوان، راتعين - والعياذ بالله - في غمار من الشهوات والموبقات.

ولكن هل يكفي عمل مثل هذه الاحتفالات التي تولد ميتة بلا حراك؟ وهل ترضى منا بذلك يا سيدي يا رسول الله؟ والحال هو الحال ولم يتبدل، فالإنسان يمشي في الشارع هذه الأيام فلا يفرق بين مدينة إسلامية وغير إسلامية، نساء شبه عاريات، وشباب لا تدري أرجال هم أم نساء، كما أن الاقتصاد في بلاد المسلمين في معظمه يقوم على الربا والاحتكار والاستغلال، ووسائل الإعلام الإسلامية في معظمها تمشي حسب خطة وضعها أعداء الإسلام، وبالطريقة التي يريدونها، والعياذ بالله، فإذا كان الإسلام يلحظ في معظم أمور حياتنا ابتعاداً عن سننه صلى الله عليه وسلم، وتمسكاً بسنن أعداء الإسلام، الذين حذرتنا منهم، وأنذرتنا من أن نقتفي آثارهم، فهل لنا بعد كل

هذا أن ندعي الانتساب إليك، وأننا من محبيك، وهل هذه من صفتهم، هم المسلمون الذين بذلت يا رسول الله وصحابتك الكرام الجهد من أجل هدايتهم، لتجد في النهاية أناساً هذه صفاتهم وهذه أخلاقهم، حقاً لو بحث الإنسان في سلوكنا وتصرفاتنا رؤساء ومرؤوسين، عوام ومتعلمين، لم يجد في معظمها اقتداءً ومطابقةً لسنة رسولنا الكريم، فهل يحق لنا بعد كل هذا أن ندعي حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفينا من يصف المتمسك بسنته بالرجعية والتطرف والتأخر، فإذا كان التمسك بأصول الإسلام تطرفاً وأصوليةً في نظر المنافقين، فبماذا يصفون من تمسك بآداب الإسلام وأخلاقه؟ مما يدخل في دائرة، نخشى أن نكون ممن عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين قال: (... وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ؛ أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ...)(1) فإذا كان هذا حالنا – والعياذ بالله – فهل ينفعنا يومئذ أن نحتج بأننا كنا نقيم الموالد في ذكرى مولدك؟

إنه لأمر بدهي لا يحتاج إلى نقاش، من كان يحب شخصاً حباً صادقاً فلا بد أن يقتدي به، و أن يتمسك بما يقول، وفي هذا يقول الشاعر:

تعصي الإلهَ وأنتَ تظهرُ حبه هذا لعمري في الفعال بديعُ

لو كنتَ صادقَ حبِّه لأطعته إن المحبَّ لمـــن يحبُّ مطيعُ

ما أحوجنا نحن المسلمين إلى أن نتدبر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأن نعيش معها، مع العظمة التي أشار إليها سبحانه وتعالى بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(2).

فمن الواجب المحتم علينا، أن نسارع إلى التعلق برسولنا صلى الله عليه وسلم، وأن ندرس السيرة العطرة دراسة المتأمل البصير، لنعرف كيف نقتدي به، ونقتبس من هذه السيرة الجامعة لحياتنا، ولأنفسنا، ولأولادنا، ولأسرنا، ولمجتمعاتنا، ولحكامنا، ومحكومينا، فنأخذ من هذه السيرة هدياً، وخير الهدى هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

وإني أقسم بالله سبحانه، غير حانث إن شاء الله، أن لا صلاح ولا فلاح لنا في الدنيا والآخرة إلا بالتأسي بمحمد صلى الله عليه وسلم وسننه، والاقتداء به، فكل نسب منقطع يوم القيامة إلا نسبه صلى الله عليه وسلم، فيا ويح من قطع صلته بنبيه صلى الله عليه وسلم، ويا تعس من تمضي عليهم الأيام والشهور، فلا يذكرون محمداً صلى الله عليه وسلم، وإذا ذكر أمامهم بخلوا حتى بالصلاة عليه، والعياذ بالله، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، والمرء مع من أحب يوم القيامة، (عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: حُبَّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)(3)

فحب النبي صلى الله عليه وسلم وثيقة الدخول إلى الجنة، والنار محرم عليها أن تحرق قلباً فيه محبة رسول الله عليه وسلم، ورحم الله الشاعر، حيث قال:

يا ربِّ إن ذنوبي في الـورى كثُرت ... وليس لي عمل في الحشر ينجيني

وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه ... حبُ النبي وهـذا القـــدر يكفيني

ولقد كان الذين عاشوا بعد رسول صلى الله عليه وسلم من الصحابة الكرام يشتد شوقهم إليه، وتدب في قلوبهم نار المحبة كلما تذكروا رسول الله عليه وسلم، وكان أحدهم إذا اقترب أجله، وحان موته، يفرح ويستبشر، لأنه سيلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا بلال بن رباح، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما حضرته الوفاة صاحت امرأة: واويلاه!! فقال بلال رضي الله عنه: واطرباه، وافرحتاه، وغداً ألقى الأحبة، محمداً وصحبه.

وهذا الإمام مالك -رحمه الله- كان على جانب عظيم من الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن دلائل محبته تعظيمه وإجلاله لكل ما له علاقة بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ فكان لا يقرأ الحديث النبوي الشريف إلا وهو طاهر متوضئ، وإذا بدأ

بقراءة حديث لا يقطعه بشيء آخر حتى ينتهي منه.

على كل حال، فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم فرضٌ واجبٌ على كل مسلم ومسلمة، قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ}(4).

وبعد، ففي هذا القدر كفاية، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، فعليكم بمحبة نبيكم محبة صادقة، ومحبة أهل بيته الأطهار، وصحابته الأبرار، وأدبوا أولادكم على ذلك، فعبد الله بن هشام قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الآن يا عمر)(5).

فالحمد لله الذي جعلنا من أتباع هذا النبي العظيم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فهو الجدير بالإكبار والإجلال، لأن الله سبحانه وتعالى أنقذنا من الضلال، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، فهو الذي يسعف المحبين له من مهالك الشقاء، ويشفع لهم يوم الفزع الأكبر، يوم لا شفيع سواه، وينقذ المؤمن المحب من فتنة القبر وعذابه، صلى الله عليك يا رسول الله، وجعلنا من المهتدين بهديك، المقتدين بسنتك، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(6).

الهوامش:

1. صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إنكم ملاقو الله مشاة حفاة عراة غرلا.
2. القلم: 4.
3. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب.
4. الأحزاب: 6.
5. صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً.
6. الأحزاب: 21.

ملف العدد

في ذكرى المولد النبوي الشريف

الرحمة المهداة

د. خالد الغزاوي / القدس

قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ }(1)

أخي القارئ الكريم

يحتفل المسلمون كل عام بميلاد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبالتحديد يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ويبتهج الكون كله بهذه الذكرى بنبي الرحمة المهداة، ونبي السلام للإنسانية جمعاء، فهنيئاً للأمة الإسلامية، وهنيئاً للكون بمولد الهادي البشير، الصادق المصدوق، درة الكون، وكنز الوجود، خاتم رسل الله، وسيد ولد آدم، وحامل لواء الحمد والجود، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه في كل وقت وحين.

هذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل، الذي شمل جميع المحامد، وحوى كل الفضائل، الذي ناجاه الحبيب الرحمن بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(2)، وقد خصه الله بأمور، ففي الحديث الصحيح عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ

إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ)(3)

فهلا عرفت الإنسانية اليوم قدر هذا النبي العظيم، وهلا درست سيرته وأخلاقه مع العدو والصديق، وفي الحرب والسلم، هلا قرأوا شيئاً من صفاته، أو درسوا دعوته ومبادئه... وعلى العكس من ذلك نجد كثيراً من الحاقدين على هذا الدين يشوهون صورته، وينعتون أتباعه بالصفات المذمومة، ولا عجب في ذلك فمن جهل شيئاً عاداه، ولماذا نلوم العدو في ذلك؟ وننسى أن كثيراً من المسلمين قد أداروا ظهورهم لهذا الدين، وتركوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحكموا بغير شريعته ووالوا أعداءه؟

كيف نلوم الأعداء، وغالبية المسلمين اليوم تنكروا لأخلاق نبيهم صلى الله عليه وسلم، وركنوا إلى الدنيا والشهوات، وأصابهم داء الأمم، حب الدنيا وكراهية الموت، فحين أصاب الأمم السابقة الوهن والضعف في الدين والتقوى، فغزاها عدوها في عقر دارها، واستباح كرامتها وعزها كما هو الحال الأليم في واقع الأمة الإسلامية هذه الأيام... وما أحرانا في هذه الذكرى العظيمة ذكرى ميلاد نبي الإسلام، وميلاد البعثة الإسلامية، أن نعتصم بحبل التقوى، حبل الله المتين، لتعود لنا أيام العزة، وذكريات الانتصار، وما ذلك على الله بعزيز، وصدق صلى الله عليه وسلم، القائل: (... وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ؛ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا:

نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ ...)(4).

لتكن شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة لكل منا، فقد كان عليه الصلاة والسلام نبياً رحيماً، ورسولاً مبلغاً، وداعياً، وكان قائداً عظيماً، وعبداً صادقاً، وكان زوجاً محسناً، وأباً راعياً حانياً، وحوى في شخصيته صلى الله عليه وسلم كل كمالات البشرية وفضائلها، أحبه أتباعه حباً جماً، وافتدوه بأرواحهم ومهجهم، وسرعان ما يتعرف إليه أعداؤه، فتنقلب عداوتهم له محبة شديدة، فيؤمنون به، ويدخلون في دينه، كيف لا؟ وهو حبيب رب العالمين وشفيع العباد المؤمنين يوم القيامة، وقد أمرنا الحق سبحانه وتعالى بالاقتداء به، فقال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(5).

ومن مشاهد رحمته صلى الله عليه وسلم أنه لم يدعُ على قومه حين أخرجه أهل الطائف، وأغروا به سفهاءهم، وحين آذته قريش والمشركون، واضطروه إلى الهجرة من مكة المكرمة، بل حاولوا قتله ... لم يدعُ عليهم حين عرض له جبريل عليه السلام أن يطبق عليهم الأخشبين -وهما جبلان عظيمان بمكة- بل قال لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)(6)، ولبث يدعوهم كل أيام حياته إلى الله تعالى والدخول في الإسلام بشتى الوسائل والطرق، وصدق الله سبحانه في وصفه، بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}(7)، وقوله تعالى: {... وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ...}(8).

ومن نماذج رحمته صلى الله عليه وسلم: قوله لأصحابه: (لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ

أَصْحَابِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ)(9).

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم ورفقه أنه لا يحب المشقة لأمته، حتى في العبادة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ- وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ، عَلَى أُمَّتِي- لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ)(10)، ولم يخرج لصلاة التراويح بعد يومين من رمضان خشية أن تفرض عليهم، ونهاهم عن الوصال في الصوم رحمة بهم، وكان يسمع بكاء الصبي فَيُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ(11)، وقالت عائشة رضي الله عنها في صفته: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ...) (12).

أخي القارئ الكريم

إن من أوجب الواجبات علينا، ونحن ندّعي أننا من أتباع هذا النبي العظيم صلى الله عليه وسلم أن نحبه حباً جماً، وأن نكون صادقين في اتّباع سنته، وطاعته صلى الله عليه وسلم، فمحبته صلى الله عليه وسلم هي المنزلة التي يتنافس فيها المحبون، وإليها يشخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وبروح نسيمها تروح العابدون؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قوت القلوب، وقرة العيون، ومن حرم محبته صلى الله عليه وسلم فهو من جملة الأموات، ومن فقد نوره فهو في بحر الظلمات.

فكن أخي المؤمن... من هؤلاء المحبين الصادقين، وكن من أولئك الذين عناهم صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات الرقيقة، التي قالها في مرض موته صلى الله عليه وسلم: (وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي، قَالَ: فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوَلَيْسَ نَحْنُ

إِخْوَانَكَ؟! قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي، وَلَمْ يَرَوْنِي) (13).

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمـــــــان تبسم وثناء

يا خير من جاد الوجود تحية من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا

بك بشّر اللّه السـماء فزيّنت وتضوعت مسكـــا بك الغبراء

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

1. آل عمران: 164.
2. القلم: 4.
3. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.
4. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ.
5. الأحزاب: 21.
6. صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين.
7. الأنبياء: 107.
8. آل عمران: 159.
9. سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل أزواج النبي ﷺ.
10. صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب السواك.
11. صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.
12. صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله.
13. مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه.

ميلاد رسول الله

عيسى بن مريم العذراء البتول عليهما الصلاة والسلام

هيام جرار- مدرسة بنات صانور الأساسية

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فتحدثت الآيات من سورة مريم عن الأحداث العجيبة المثيرة، التي رافقت ولادة عيسى عليه السلام، وذلك بعدما أرسل الله لها جبريل عليه الصلاة والسلام، {فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً}(1) أي: تصور لها في صورة البشر تّام الخلقة، قال ابن عباس: (جاءها في صورة شاب أبيض الوجه، جعد الشعر، مستوي الخلقة) قال المفسرون: إنما جاءها في صورة الإنسان لتأنس بكلامه، ولا تنفر منه، ولو بدا لها في صورة الملكية لنفرت منه، ولم تقدر على سماع كلامه، ودلّ على عفافها وورعها أنها تعوّذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة في الحسن(2).

{قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً}(3)، أي: فلما فزعت وخشيت أن يكون إنما أرداها بسوء، قالت: إني أحتمي وألتجيء إلى الله منك، فاتركني ولا تؤذني.

{قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً}(4) أي: ما أنا إلا ملك مرسل من عند الله إليك، لأهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب.

{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً}(5) أي: كيف يكون لي غلام؟

وعلى أي صفة يوجد هذا الغلام مني {وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً} أي: ولست بذات زوج حتى يأتيني ولد، ولست بزانية.

{قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً}(6) أي: كذلك حكم ربك بمجيء الغلام منك، وإن لم يكن لك زوج، فإن ذلك على الله سهل يسير.

{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً} أي: ليكون مجيئه دلالة للناس على قدرتنا العجيبة، ورحمة لهم، يبعثه نبياً يهتدون بإرشاده.

{وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً } أي: كان وجوده أمراً مفروغاً منه، لا يتغير، ولا يتبدل، لأنه في سابق علم الله الأزلي، حيث نفخ فيها من روحه سبحانه، نفخ في جيب روعها، فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها، كما تحمل المرأة عند جماع بعلها، قال تعالى: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}(7)

مدة الحمل:

اختلف في تحديد مدة حمل مريم بعيسى عليهما السلام، ومما ورد في ذلك:

1) أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر كما تحمل النساء، ويضعن لميقات حملهن ووضعهن، والدلالة على ذلك: ذكر السدي بإسناده عن الصحابة: أن مريم دخلت يوماً على أختها، فقالت لها أختها: أشعرت أني حبلى؟ فقالت مريم: وشعرت أيضاً أني حبلى، فاعتنقتها، وقالت أم يحيى: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، وذلك قوله {مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ}(8) ومعنى السجود ها هنا الخضوع والتعظيم.

وقال أبو القاسم: قال مالك: بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة، وكان حملهما معاً، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. قال مالك:

أرى ذلك لتفضيل عيسى -عليه السلام- لأن الله تعالى جعله، يحيي الموتى، ويبرىء الأكمه(9) والأبرص(10)، وروي عن مجاهد، قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت حدّثني وكلّمني، وإذا كنت بين الناس سبّح في بطني، وهذا دليل على أنها حملت به تسعة أشهر.

2) أنها كانت ثمانية أشهر، وهذا ما ورد عن ابن عباس وعكرمة.

3) أنها كانت تسع ساعات، {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً * فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً}(11) ونلاحظ أن الآيات عرضت الأحداث المثيرة بحرف (الفاء)، الذي يدل على الترتيب والتعقيب الفوري؛ (فحملته)، (فانتبذت)، (فأجاءها)، (فناداها)، وجملة (فحملته) معطوفة على ما قبلها، حيث كان الكلام قبلها عن نفخ جبريل في جيب مريم، وحملها بعيسى بعد تلك النفخة، فصار جنيناً حيّاً، فحملت مريم جنينها، فانتبذت به مكاناً قصياً(12).

قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً}(13) وقد اعتادت مريم هذا الانتباذ والابتعاد منذ فترة طويلة، أو اعتاد أهلها منها الابتعاد، حيث اختارت مكاناً يقع شرقي إقامة أهلها، مكاناً شرقي بيت المقدس، لها فيه صومعة تعبد الله فيها، حيث اعتاد الناس ذلك، في ذلك الزمان، وذهبت إلى ذلك المكان القصي، حتى تبتعد عن أهلها، خوفاً منهم، وهذا الخوف طبيعي، فهي فتاة عذراء، بتول، طاهرة، صالحة، يعرف أهلها ذلك عنها، وها هي تحمل في رحمها جنينا! فماذا سيقول أهلها؟ وهل سيصدقون أنه نفخة من الله؟ لذلك ابتعدت عن أهلها لتسلم من اتهامهم لها والحديث عنها.

المكان القصي

المكان القصي هو بيت لحم، كما كان معروفاً عند المؤرخين والنصارى، وكانت حينذاك قرية صغيرة مبنية على أكمة، تبعد ستة أميال إلى الجنوب من القدس، وهي محوطةبتلال،

تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة، وفيها مياه عذبة، تتفجر من أراضيها الخصبة، وكان داود –عليه السلام– يشرب الماء من البئر الذي فيها، وبَنَتْ الإمبراطورة (هيلانة) كنيسة، فوق المغارة، التي يظن أن المسيح ولد فيها، وهي أقدم كنيسة مسيحية في العالم، وهي كنيسة المهد.

اللحظات الحاسمة:

{فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً}(14) أي: ألجأها ألم الطلق وشدة الولادة، إلى ساق نخلة يابسة، لتعتمد عليها عند الولادة، {قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً} أي: يا ليتني مت قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً تافهاً.

لماذا تمنت مريم عند جذع النخلة لو ماتت وكانت نسياً منسياً؟ قال سيد قطب: فلنشهد مريم تستند مكاناً قصياً عن أهلها في موقف أشد هولاً من موقفها السابق لما حملت بعيسى.

فلئن كانت في الموقف الأول تواجه الأمر بينها وبين نفسها، فهي هنا وشيكة أن تواجه المجتمع، كما أنها تواجه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية، تواجه المخاض الذي أجاءها إلى جذع النخلة، واضطرها إلى الاستناد عليها، وهي وحيدة فريدة، تعاني حيرة، العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء ... فإذا قالت: {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً} فإننا نكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها. ونلمس مواقع الألم فيها، وهي تتمنى لو ماتت(15). وكانت (نسياً منسياً).

ما الذي يخفف عن مريم الاضطراب والألم؟

{فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً}(16) ضرب جبريل برجله الأرض، فظهرت عين ماء ومجرى جدول، هنا ناداها جبريل من تحت الجبل ليزيدها

اطمئناناً بأن الله سيضع منك المعجزة، ثم {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً}(17).

قيل: كان جذع النخلة يابساً، وقيل كانت مثمرة، والله أعلم. ويحتمل أنها كانت نخلة، ولكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك، لأن ميلاده كان في وقت الشتاء، وليس ذاك وقت الثمر(18)، وقد يفهم من ذلك قوله تعالى على سبيل الامتنان {تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً} حيث إن التمر والرطب غذاءٌ قيّمٌ للنفساء.

{فَكُلِي وَاشْرَبِي} أي: كلي من هذا الرطب الشهي، واشربي من هذا الماء العذب السلسبيل.

{وَقَرِّي عَيْناً} أي طيبي نفساً بهذا المولود ولا تحزني.

{فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً} أي: إذا رأيت أحداً من الناس، وسألك عن شأن المولود، فقولي: أمرت بالكف عن الكلام، ليكفيها ولدها ذلك، فتكون آية باهرة.

{فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً}(19)، وذكر كثير من السلف ممن ينقل عنهم أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين ظهرانيهم، ذهبوا في طلبها، فمروا على محلتها والأنوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها، فقالوا لها: {قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً} أي أمراً عظيماً – مع أن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته بنفسها، وأتت به قومها تحمله(20).

{يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً} أي: يا شبيهة هارون في الصلاح والعبادة، ما كان أبوك رجلاً فاجراً، وما كانت أمك زانية، فكيف صدر عنك

هذا وأنت من بيت طاهر، معروف بالصّلاح؟ قال قتادة: كان هارون رجلاً صالحاً في بني إسرائيل، مشهوراً بالصلاح، فشبهوها به، وليس بهارون أخي موسى، لأن بينهما ما يزيد عن ألف سنة(21).

{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}(22) لم تجبهم، وأشارت إلى عيسى ليكلموه ويسألوه، قالوا كيف نكلم طفلاً رضيعاً لا يزال في السرير يتغذى بلبن أمه؟ قال الرازي: روي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته، وقيل: كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم فيه الصبيان.(23)

{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا* وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا}(24) أي: قال عيسى في كلامه حين كلمهم: أنا عبد الله، خلقني بقدرته من دون أب- قدّم ذكر العبودية، ليبطل قول من ادعى فيه الربوبية- وقضى ربي أن يؤتيني الإنجيل، ويجعلني نبياً، إنما جاء بلفظ الماضي لإفادة تحققه، فإن ما حكم به الله أزلاً، لا بد أن يقع، وجعل فيّ البركة والخير والنفع للعباد، وأينما حللت، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة والزّكاة مدّة حياتي، وجعلني بارّا بوالدتي، محسناً لها، ولم يجعلني متكبراً على أحد، شقياً في حياتي(25).

{وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}(26) أي: سلام الله عليّ يوم ولادتي، وفي يوم وفاتي، وفي يوم خروجي من قبري، هذا ما نطق به عيسى عليه الصلاة والسلام وهو طفل رضيع في المهد.

وصلى الله على رسولنا العدنان، وعلى رسل الله وأنبيائه جميعاً وسلم تسليماً كثيراً.

الهوامش:

* البتول الذي ينقطع عن الدنيا إلى الله وينقطع عن الزواج.

1. مريم: 17.
2. أثير الدين الأندلسي، كتاب البحر المحيط، تفسير سورة مريم.
3. مريم: 18.
4. مريم: 19.
5. مريم: 20.
6. مريم: 21.
7. التحريم: 12.
8. آل عمران: 39.
9. الأكمه: الأعمى.
10. الأبرص: البرص مرض يصيب الجلد.
11. مريم: 22 – 23.
12. ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء2، ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم العذراء البتول.
13. مريم: 16 – 17.
14. مريم: 23.
15. سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4، ص2307.
16. مريم: 24.
17. مريم: 25 – 26.
18. البداية والنهاية، ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم العذراء البتول.
19. مريم: 27 – 28.
20. البداية والنهاية، ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم العذراء البتول.
21. المصدر السابق.
22. مريم: 29.
23. الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، تفسير سورة مريم، http://www.altafsir.org.
24. مريم: 30 – 32.
25. البداية والنهاية، ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم العذراء البتول.
26. مريم: 33.

العلاقة بين المسيحيين والمسلمين

علاقة ترابط وتكاتف

د. حنا عيسى / أستاذ القانون الدولي

قبل الحديث عن نشأة الديانتين المسيحية والإسلامية؛ لا بد لنا من اعتماد مبادئ الحوار الأخوي والتفاهم بين أتباع الديانتين من المستويين الشعبي والرسمي، لتكريس أسس الوفاق والتقارب، ومد جسور المحبة والأخوة، والعيش المشترك، وقبول الآخر، وتبادل الثقة في وطن واحد، ليكون قاعدة المواطنة، ومبدأ سيادة القانون، والمساواة من أجل وطن يضمن للجميع العيش بحرية وكرامة.

إن الحضور المسيحي في معظم البلدان العربية يعود إلى نشأة الديانة المسيحية في بداية السنين الأولى لميلاد المسيح، ويشهد التاريخ بكل مراحله على وجود جماعات مسيحية عربية في مختلف مناطق الشرق، وبمجيء الإسلام بداية من القرن السابع ميلادياً، بدأ تاريخ مشترك جمع بين المسيحيين والمسلمين في الشرق العربي، وجمعت بينهما حضارة مشتركة ورثت جميع الحضارات السابقة في هذه البلاد، حيث كانت حضارة بابل والحضارة الفرعونية أولى حضارات التاريخ.

ولقد أدت خبرة الماضي وتجاربه بالمسيحيين والمسلمين إلى الانصهار في بوتقة واحدة هي الحضارة العربية، مع احتفاظ كل منهم بأصالته الدينية وخصوصيات عاداته وتقاليده،

ويشكل هذا التراث الحضاري المشترك ضماناً لاستمرارية التفاعل الذي يواجه اليوم مستجدات لا بد من استيعابها، وإمكانات لا بد من بلورتها، وتحديات لا بد من مواجهتها، وهذا كله يفتح الأبواب واسعة أمام مستقبل هذه الخبرة بكل حيويتها وأصالتها، إن استمرار التعايش الإيجابي في الغالب الأعم من الدول العربية، وتمتع المسيحيين بحريات العبادة والنشر والكتابة واستخدام القنوات الإذاعية والتلفازية في معظم الدول العربية بما فيها بلدنا فلسطين، وتضاؤل القيود أمام وصول المسيحيين إلى معظم وظائف الدولة ومراتبها، وخصوصاً في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا، وحسن العلاقة بين المراجع الدينية المسيحية والإسلامية في جميع الدول العربية، وقيام هذه المراجع بتطويق أي حادث سلبي يطرأ على مسيرة العلاقات بين المسيحيين والمسلمين، وتعمق القناعة لدى الشريك المسلم بأن المسيحية العربية شريك أساس في العيش والمصير، وإقامة جسر للحوار مع الغرب، يمكّن للإسلام العربي أن يستفيد منه إيجاباً.

ولعلَّ أهم نقطة سلبية يجب العمل على تجاوزها بتعاون الطرفين، وتضافرهما تكمن في استمرار الجهل الواسع بدين الآخر في عقائده وممارساته ونمط حياة أبنائه، والجهل يغذي تصورات مغلوطة، ويصور الآخر على نحو فيه قسوة ومخالفة لصورته الحقيقية، ولتجاوز هذه الظاهرة؛ علينا إبراز هوية المواطنة التي تستلزم ضماناً لحقوق الجميع دون تفريق، وأن ينصف القانون والنظام كل المواطنين، ففي المواطنة تنتفي فكرة الأكثرية والأقلية، وتنتفي فكرة القوي والضعيف، فكرة الأصيل والوافد، وفي المواطنة؛ يعيش الجميع كرامتهم، ويسهمون في نهضة بلادهم والدفاع عنها، وفي المواطنة تعود كرامة الإنسان ككائن رفعه الله تعالى على جميع الكائنات وأودع فيه من روحه، وأقامه سيداً على الأرض.

إن ما يعانيه المسيحيون العرب يعني في الوقت نفسه المسلمين العرب، وإن هذه المعاناة أياً تكن أسبابها، تشكل حافزاً لعمل إسلامي مسيحي مشترك يحافظ على الحضور المسيحي

العربي في النسيج الاجتماعي العام، ويحافظ على ما يتميز به من تنوع وتعدد على أرضية مصالح الوطن ووحدته.

إن المتابع في تطورالعلاقات الإنسانية وتوجهات أتباع الديانتين الإسلام والمسيحية، والمدقق لها، يرصد تصاعد الاهتمام بالحوار الإسلامي المسيحي كضرورة لتخفيف التوترات في بقاع كثيرة من العالم، بالتوازي مع تنامي اتجاهات تركز على أهمية استحضار الرؤية الدينية للقضايا التنموية، واستخدامها في سبيل التوعية وتطوير الخطاب الديني داخل كل دين عبر مؤسساته ومنابره وامتداداته، وتوظفيها أيضاً في تطور الأداء الاجتماعي والاقتصادي، وتشكيل الرأي العام المحلي والدولي الفاعل في خدمة الإنسانية وتنميتها.

وفي ضوء ما ذكر أعلاه، فإن الحوار المسيحي/ الإسلامي -أصبح على المستوى الحياتي والمصيري المشترك- حتمياً، نظراً للأحداث والتغيرات في المنطقة؛ فالقضايا واحدة، لأننا نحيا في وطن واحد، يحدونا أمل في مستقبل مشرق واحد، كما أن الحوار يؤصل المواطنة والهوية العربية للمسيحيين والمسلمين على حد سواء في الشرق الأوسط.

فالمنطقة التي خرجت منها المسيحية إلى العالم كله، ما زالت هي المكان الذي يقصده مسيحيو العالم أجمع لزيارة الأماكن المقدسة، وهي نفسها قبلة المسلمين الأولى، والمكان الذي يتمنى مسلمو العالم أجمع تحرره ليتمكنوا من الصلاة في مسجده الأقصى المبارك، لذا فأكبر مثال على التعايش المسيحي الإسلامي كان في القدس، وما تزال كسابق عهدها قبلة للأنظار، وملتقى للحضارات، ومهداً للأديان السماوية الثلاثة: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، وتتجلى مظاهر الإخاء الديني في فلسطين بتعانق المساجد والكنائس في مظهر ساحر قل نظيره في العالم، فمن يقصد فلسطين يسمع امتزاج أصوات المؤذنين مع قرع أجراس الكنائس، حيث يعيش المسيحيون مع المسلمين جنباً إلى جنب في جو أخوي فريد من نوعه.

بعد مرور 17 عاماً على مجزرة

المسجد الإبراهيمي بالخليل

يستغيث بالشعوب العربية والأمم الإسلامية

أ. محمد سليم شبانة / دار الإفتاء الفلسطينية ـ الخليل

في ذكرى مرور سبعة عشر عاماً على مجزرة المسجد الإبراهيمي بالبلدة القديمة من الخليل، استمرت الإجراءات والممارسات الإسرائيلية عليه وضد أهل المدينة، بالبلدة القديمة من الخليل، وأصبحت حياة المواطن في الخليل القديمة لا تطاق، نتيجة الاعتداءات المتكررة من قبل جنود الاحتلال والمستوطنين الموجودين في عدة بؤر استيطانية، وخلال هذه الفترة أصدر الجيش الإسرائيلي أمراً عسكرياً بإغلاق (2550) منشأة ومصلحة تجارية داخل البلدة القديمة ومحيطها، وأغلقت المحلات التجارية والمصالح الأخرى أبوابها، بسبب حالة الكساد، والركود الاقتصادي، وتفشي ظاهرة البطالة، ومنع التواجد في البلدة القديمة والتوجه إليها، وكثرة فرض حظر التجوال عليها، والمضايقات شبه اليومية على مداخل البلدة القديمة من قبل قوات الاحتلال الموجودين فيما يسمى بالمواقع العسكرية، والتي طالت طلاب المدارس والمواطنين، إضافة إلى الاعتداءات والممارسات المتكررة من قبل المستوطنين على طلاب المدارس الموجودة داخل البلدة القديمة من الخليل، حيث تقع البؤرة الاستيطانية؛ بيت هداسا، والدبويا، وبيت رومانو، ومدرسة أسامة بن منقذ، وتل الرميدة، وبيت أبينا إبراهيم، وبيت يشاي ...

وقبل المجزرة كانت أسواق البلدة القديمة ومساجدها يقصدها الأهالي والتجار والرواد من جميع المحافظات، وكانت شوارعها تفيض بالزوار والمتسوقين. والآن أصبحت أسواقها وحاراتها وأزقتها خاوية ومهجورة من سكانها الأصليين؛ وذلك بسبب الإجراءات الإسرائيلية،

واعتداءات المستوطنين، والحرمان من تأدية الصلوات في المسجد الإبراهيمي الشريف، وتشديد الإجراءات، وتقسيم المسجد، وتركيب الكاميرات بالبلدة القديمة، ووضع البوابات الحديدية واللولبية، ونقاط تفتيش عسكرية عند الدخول إلى المسجد الإبراهيمي والخروج منه.

وهذه المجزرة البشعة حققت حلم المستعمرين (متعددي الجنسيات)، بالسيطرة والتحكم بالمسجد الإبراهيمي الشريف والبلدة القديمة من الخليل، مما أدى أيضاً إلى استئثارهم بتأدية الطقوس الدينية الخاصة بهم فيه بعد هذه المجزرة البشعة، التي نفّذها المستوطن الحاقد (باروخ غولدشتاين)، في الخامس عشر من شهر رمضان عام 1414هـ وفق الخامس والعشرين من شباط عام 1994م، والتي راح ضحيتها تسعة وعشرون شهيداً داخل المسجد، وستة آخرون خارجه.

الدكتور باروخ غولدشتاين، والذي تولى هذا المخطط لتوجيه سلاحه، وإطلاق الرصاص الكثيف الذي لا يعد ولا يحصى على المصلين الصائمين، وهم يؤدون صلاة الفجر في المسجد الإبراهيمي الشريف يوم الجمعة، كان يبلغ من العمر 42 عاماً، وهو أحد مؤسسي حركة كاخ الدينية الحاقدة، وأحد الوافدين من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الكيان الإسرائيلي، حيث سكن في مستوطنة كريات أربع المقامة على أراضي مدينة الخليل.

ورغم الإجراءات والممارسات الإسرائيلية، قرر رئيس الحكومة الإسرائيلية (بنيامين نتنياهو) إعطاء المستوطنين جائزة لصمودهم في قلب المدينة، وتهويد المسجد الإبراهيمي، وتغيير المعالم بالبلدة القديمة بتشجيع من الجيش الإسرائيلي وحمايته.

وبتاريخ 22 /2 /2010م تم الإعلان عن ضم المسجد الإبراهيمي الشريف إلى قائمة الأماكن الأثرية الإسرائيلية؛ لحرمان المسلمين من تأدية صلواتهم فيه.

وبعد مرور السنين على المجزرة البشعة، ظل المسجد الإبراهيمي الشريف في مدينةٍ الخليل يستغيث الشعوب العربية والأمم الإسلامية لحمايته ونصرته، وتأدية الصلوات فيه، وتقديم الدعم والمساندة الممكنة له.

قال تعالى: ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43)

أنت تسأل والمفتي يجيب

الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

1. التسويق الشبكي

السؤال: ما حكم التعامل مع شركة تبيع منتجاتها بأسعار منافسة، عن طريق وسطاء يأخذون عمولة عن كل زبون يشتري بوساطتهم، وتزداد العمولة بزيادة الزبائن الذين يشترون عن طريق أولئك الوسطاء، فيما يعرف بالتسويق الشبكي، معتمدة في السعي إلى الربح على الدعاية والإعلان لجلب الزبائن طريقاً للربح، فهل يجوز التعامل مع هذه الشركة والترويج لبضائعها؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فقد اطلع مجلس الإفتاء الأعلى في فلسطين على هذه المسألة في جلسته التاسعة والسبعين بتاريخ 18 /3 /2010م، وبعد تداول النقاش حولها، فإن المجلس يرى أن هذه الشركة تعمل وفق مفهوم التنظيم الهرمي، ويسمى أحياناً بالتسويق الشبكي، بمعنى أنها تعتمد لمضاعفة أرباحها على ضم أكبر عدد ممكن من الوسطاء الذين يتلقون عمولة

محددة منها، لقاء إقناعهم وسطاء آخرين بالانضمام إليها والتعامل معها، ويقوم هؤلاء بإقناع آخرين غيرهم، وهكذا يزداد العدد ويتضاعف بشكل هرمي، وقد ذهب غالبية الفقهاء المعاصرين إلى حرمة التعامل مع هذه الشركة ومثيلاتها، حيث إن التكييف الفقهي لمعاملة التسويق الشبكي يتمثل في أن يبيع الشخص نقوداً بنقود بالتفاضل، وهو من الربا المحرم شرعاً، والذي ثبتت حرمته في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ويخالط التعامل المذكور صورة القمار والغرر، فالمشترك يدفع مالاً مخاطراً به، تحت تأثير إغرائه بعمولات التسويق التي تدر له أرباحاً كبيرة إذا نجح في جمع عدد كبير من الأشخاص، وفي هذا التعامل غرر وخداع، بالإضافة إلى التلبس بالقمار والربا. وذلك أن مقصود المعاملة هو العمولات وليس المنتَج، فالعمولات تصل إلى عشرات الآلاف، في حين لا يتجاوز ثمن المنتج بضع دولارات، وكل عاقل إذا عرض عليه الأمران فسيختار العمولات، ولهذا كان اعتماد هذه الشركات في التسويق والدعاية لمنتجاتها هو إبراز حجم العمولات الكبيرة، التي يمكن أن يحصل عليها المشترك، وإغراؤه بالربح الفاحش، مقابل مبلغ يسير هو ثمن المنتَج، فالمنتَج الذي تسوقه هذه الشركات مجرد ستار وذريعة، للحصول على العمولات والأرباح، ولما كانت هذه هي حقيقة هذه المعاملة، فهي محرمة شرعاً.

وقد جاءت فتاوى عدة تؤيد تحريم التعامل بهذه الطريقة، منها فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السعودية.

مع الإشارة إلى أن فتوى للأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي في السودان الأستاذ الدكتور أحمد خالد صدرت بتاريخ 18/ آذار/ 2008م جاء فيها أنه بناء على معلومات

وردت إليه عن الشركة المسؤول عن تعاملها، فإن المجمع يرى أن عمل هذه الشركة في خطتها القديمة والجديدة لا يجوز العمل به، كونه قماراً حرمه الشرع، وبسبب مخالفتهم الصريحة لفتوى المجمع في ذلك. وبناء على ما تقدم ذكره، فإن التعامل مع هذه الشركة حرام شرعاً.

والله تعالى أعلى وأعلم

2. أخذ قرض بهدف تأمين مستلزمات الزواج

السؤال: هل يجوز أخذ قرض بفائدة بسيطة من بنك إسلامي إماراتي (حسب لجنة الفتوى في البنك، هو أحد حلول التمويل المطابقة للشريعة الإسلامية) بغرض توفير متطلبات الزواج من سكن وأثاث وذهب وخلافه؟

الجواب: فإن كلمة فائدة هي مصطلح ربوي حديث، والربا محرم شرعاً ما قل منه أو كثر، لقوله تعالى: {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}(1)، ولقول سيدنا محمد ﷺ : (الْوَرِقُ بِالذَّهَبِ رِبًا، إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، ...)(2).

وعليه فلا يجوز للسائل أن يأخذ مالاً بمال بزيادة، لأنه ربا.

ونوصي السائل الكريم أن يتحرى الحلال، ولا يقع في الربا، لأنه حرب على الله عز وجل. والله تعالى أعلى وأعلم

3. صلاة الجمعة

السؤال: هل يجوز ترك صلاة الجمعة لأن صاحب العمل لا يسمح لنا بمغادرة مكان العمل لأداء صلاة الجمعة في المسجد القريب من مكان عملنا؟

الجواب: فإن الإسلام يفرض على المسلم أداء صلاة الجمعة، لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}(3).

وهي واجبة على المسلم البالغ العاقل الذكر المقيم، وتسقط عن المسافر والمرأة والمريض، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التهاون في ترك صلاة الجمعة. وبناء عليه فبإمكانك التوجه لصاحب العمل ليسمح لك بأداء صلاتك، وإلا فننصحك بالبحث عن عمل آخر لا يفوِّت عليك القيام بشعائرك التعبدية على الوجه الصحيح.

4. حكم مصافحة النساء

السؤال: أتعرض في عملي لبعض المواقف منها: أن تمد امرأة يدها للسلام أو للتسليم أو استلام نقود، فهل يجوز ذلك، وهل تجوز مصافحة نساء من الأقارب مثل أخوات زوجتي أو زوجات أخوتي؟ وهل تجوز مصافحة النساء لتجنب الإحراج؟

الجواب: فإن مصافحة المرأة الأجنبية هي الأخذ باليد، والمقصود بالمرأة الأجنبية هي من ليست زوجة ولا محرماً، والمحرم من يحرم نكاحها على التأبيد، إما بالقرابة، أو الرضاعة، أو المصاهرة، فهؤلاء لا جناح في مصافحتهن، أما من سواهن من النساء، فلا يحل مسهن بحال، في مصافحة وغيرها، إلا للضرورة، كجس الطبيب للمرأة المريضة.

وقد اتفق الأئمة الأربعة على تحريم مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية، واستندوا بجملة أدلة، منها:

* أن عائشة – رضي الله عنها – أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، بقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا

يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (4) قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: (فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَايَعْتُكِ كَلَامًا وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ قَدْ بَايَعْتُكِ عَلَى ذَلِكِ)(5) قال الشوكاني: تركه صلى الله عليه وسلم للشيء كفعله له، في التأسي به .

* وعن أميمة بنت رفيعة، قالت: قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ)(6).

* وعن جرير بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: (سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَظْرَةِ الْفَجْأَةِ، فَقَالَ: اصْرِفْ بَصَرَكَ)(7)، فإذا كان اتباع النظرة بالنظرة محرماً، فمن باب أولى اللمس، لأن اللمس أعظم أثراً في النفس.

قال الإمام النووي: (قال أصحابنا: كل من حرم النظر إليه حرم مسه، بل المس أشد، فإنه يحل النظر إلى الأجنبية إذا أراد أن يتزوجها، وفي حال البيع والشراء والأخذ والعطاء ونحو ذلك، ولا يجوز مسها في شيء من ذلك، هذا وقد أجاز جمهور الفقهاء غير الشافعية مصافحة المرأة الكبيرة في السن، لانعدام خوف الفتنة).

وينبغي على الرجل والمرأة إذا أخذا بحكم تحريم المصافحة أن يعملا على أخذ حيطتهما من الملامسة عند تبادل النقود أو البضائع وما شابه، فإذا حدثت الملامسة دون قصد، وبعد أخذ الحيطة، فذلك من اللمم المعفو عنه إن شاء الله سبحانه، والله تعالى يقول: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(8).

وكل امرأة يحل الزواج منها في يوم من الأيام، كأخت الزوجة، ونساء الأخوة، فلا يحل مصافحتها للشخص، لأنه ينطبق عليها الحكم الذي يجري على النساء الأجنبيات عنه.

وبالنسبة للمصافحة تجنباً للحرج، فينبغي أن لا يتخذ الحرج مبرراً لاستحلال ما حرم الله، إلا إذا بلغ درجة الضرورة، وقد ذهب بعض المعاصرين إلى الترخيص في مصافحة الأجنبية إذا لم تكن هناك شهوة، وذلك عند الاضطرار، أما عند وجود الشهوة، أو الخوف من الفتنة، فتحرم المصافحة.

ونخلص من ذلك أن مصافحة الرجل المرأة الأجنبية البالغة ممنوعة شرعاً، وكذلك العكس، لأنه أحوط للدين وأورع، وأبعد عن الشبهات.

5. استخراج جثة من أجل التشريح

السؤال: هل يجوزاستخراج جثة بعد دفنها لقصد تشريحها لضرورة تتعلق في الكشف عن سبب الوفاة التي حدثت في ظروف ملتبسة، تحوم حولها شبهة جريمة القتل؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق، سيدنا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإن الأصل حرمة نبش القبور وإخراج الجثث منها بعد دفنها، لحرمة الميت وكرامته، فالله تعالى يقول: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} (9)، وإن مجلس الإفتاء الأعلى نص في قراره 8/3 على تحريم نبش القبور قبل أن تبلى عظام المدفونين فيها إلا لضرورة تقرها أحكام الشريعة، وبناء عليه، فإنه لا يجوز اللجوء لنبش القبر وإخراج الجثة منه إلا للضرورة أو المصلحة الراجحة، فإذا غلبت المصلحة في إخراج الجثة المفسدة المتعلقة بإخراجها،

فإنه يلجأ إلى مصلحة الإخراج من باب ارتكاب أخف الضررين، واللجوء للمصلحة الراجحة.

ويكون ذلك بعد التأكد من ضرورة الداعي لنبش القبر وإخراج الجثة منه، وذلك من قبل الجهات القضائية المختصة والموثوقة، ويشترط لذلك أيضاً موافقة ولاة المتوفى المدفون على إخراج جثته.

ويظهر أن المسألة المعروضة تتعلق بقضية تترجح فيها مصلحة إخراج الجثة وتشريحها، وبالتالي فلا مانع من اللجوء لذلك في إطار هذا النطاق الضيق.

الهوامش:

1. البقرة: 276.
2. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً.
3. الجمعة: 9.
4. الممتحنة: 12.
5. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الممتحنة، باب إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات.
6. سنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة النساء.
7. سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر.
8. التغابن: 16.
9. الإسراء: 70.

فقه

التبني في الشريعة الإسلامية

الشيخ / عمار توفيق بدوي ـ مفتي محافظة طولكرم

بين الفينة والأخرى، يبرز موضوع التبنّي بين الناس، وينهض كوجه رحيم من أوجه المدنية المعاصرة، وربما تحكمه نوازع العاطفة الجياشة نحو الطفولة، أو تلك المغمورة في قلب الإنسان تجاه البنوّة. وفي كلا الحالين يتيه الطفل محتاراً بعد اكتمال نموّه، وتجاوز مرحلة ناهز فيها الاحتلام، ووقف على عتبة الشباب. عندها يصرخ الحائر من هو الأب الحقيقي؟؟ بعدما ارتوى عطفاً، وحناناً جاء العقل يتساءل عن المصير، والأب المجهول.

أما المدنية المعاصرة، فلها حيلها، التي من خلالها حوّلت التبني من ظاهرة إنسانية عاطفية، إلى ظاهرة مقيتة في أبشع صور استغلال الطفولة.

كانت العادةُ السائدةُ بين العربِ؛ أن يُتبنّى فيها الطِّفلُ، يُسبى من السَّبي، أو أن ينتقلَ إلى كَنَفِ راعيه؛ فيُتبنّى لِظَرافَةٍ في خَلْقِه، أو لِلَطافةٍ في خُلُقِه، أو لِقوَّةٍ باديةٍ في جَسدِه. وَدَرَجَتْ هذه العادةُ في أُممٍ أُخرى غيرِ العربِ، واستحكَمَتْ فيهم.

وأما الطِّفلُ الذي فقَد أباه بالموت؛ فكان الطرفَ الضعيفَ في المجتمعِ، ومطمعاً للطامعين؛ يُطمعُ في شخصِه، ومالِه. وإذا ما كان اليتيمُ أُنثى؛ فهي مهضومةُ الحقّ، ومسلوبةُ الحقوق في مجتمعِ الجاهلية الظالمة.

فأوضاعُ المرأةِ على العمومِ كانتْ سيئةً؛ فكيف إذا أضيف إليها عاملُ اليُتم، وآثارُه. وكانت الأنثى تُقتل؛ لا لِذنبٍ إلاّ لأنّها أنثى، قال تعالى: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ

قُتِلَتْ}(1)، فكانت أوضاعُ الطفولة؛ ليست على ما يرام.

ونزلت الرسالةُ الإسلاميةُ في وسطٍ اجتماعيٍّ جاهليٍّ بشتى صورِه وأشكالِه، ومنها الناحيةُ الاجتماعية، وبالتحديد تلك الجهةُ التي يقبع فيها اليُتم.

عرف المجتمعُ الجاهليُّ صورتين؛ صورةً بشعةً سوداءَ قاتمةً، تضطهدُ اليتيمَ، واليتيمةَ. وصورةً أخفّ ضرراً من الأولى، وأقلّ سواداً، عالجت اليُتمَ كما عالجتْ أبناءَ السّبي، وذلك؛ بالتبنّي.

هنا كانتْ أنوارُ الهدايةِ الربّانيةِ تتنزّلُ؛ لتكونَ فيصلاً بين الصورتين؛ وحكماً فصْلاً في مسألةٍ اجتماعية؛ فأبطلت التبنّي، وحرّمته تحريماً صريحاً، وألغتْ صُورَه من مجتمعِ المسلمين. وطَوْتْ صفحةَ ظُلْمَ الأنثى من حياةِ ذلك المجتمع إلى الأبدِ. واختار الإسلامُ طريقتَه الخاصةَ الرائعةَ، ونظامَه المتميّزَ البديعَ في معالجة اليُتم. وذلك؛ بالكفالةِ. فالتبنّي علاجٌ خاطئٌ لمرضٍ خطيرٍ، ولا يُسمحُ شرعاً، ولا عقلاً؛ أن يقدّم الدواءُ الضارُّ للمرضِ الخطيرِ.

وقد يتبادرُ إلى ذهن القارئ سؤالٌ، أين نحن اليوم في المدنية المعاصرة من كلِّ أوصابِ الجاهليةِ، وآفاتِها، وأمراضِها.

والجواب هو أسفٌ، وحزنٌ على هذه المدّنية التي عادتْ من جديدٍ؛ لتقف على عَتَبَاتِ الجاهلية الأولى، وَلَيتَها بقيتْ واقفةً على عتباتِها، ولكنها دخلتْها باباً باباً، وفاقتها بأساليبِ الامتهانِ، وتحقيرِ الإنسان، وحملَتْ من أوزارِ ظُلْمِ المَرأةِ ما لم تحمِلْه كلُّ الجاهلياتِ المقيتةِ. وحفرتْ للمشاعرِ الإنسانيةِ أخاديدَ دَفَنَتْها في قيعانِ الماديةِ البغيضةِ، بلا رحمةٍ ولا شفقةٍ؛ كما سأبينُ ذلك بالأرقامِ حسبَ رواية (منظمة اليونسف Unicef).

وقراءةٌ سريعة في صفحات (منظمة اليونسف: unicef) تنبئنا بالحقيقةِ العلقميةِ عن الطفولةِ في عَالمِ المدنيّة المادية. ففي تقريرٍ لمنظمةِ اليونسف ذُكر فيه أن (14 مليون طفل تحت سن 15 سنة، فقدوا أَحدَ أو كِلا الوالدين، نتيجةَ مرضِ الإيدز)(2). فيتّمَ الإيدز أطفالاً أبرياءَ، وما سببُ هذا اليُتمَ الفظيعِ المروّعِ إلا بما كسبتْ يدُ المدنية الماديةِ، تحتَ

يافطةِ الحريةِ الجنسيةِ. فَلوَّعتْ قلبَ الطُّفولة باليُتمَ، وآثارِه الأليمة.

هؤلاء الأطفالُ الأبرياءُ، ماذا قدّمتْ لهم المدنية الغربيةُ المادية ؟! هل استقبلتْهم في مراكزِ الرعايةِ الاجتماعية، أو طَوتْهم تحْتَ أجنحةِ الرحمة، أو احتضنتْهم بصدورٍ حانيةٍ؟؟؟ لم تفعلْ شيئاً من ذلك. بل قامتْ باستغلالِهم أبشعَ استغلالٍ، وأذلَّ استعبادٍ، ولم تراعِ فيهم رحمةً، ولا إنسانيةً، فدفعتْ هؤلاء الأطفالَ إلى الدَّعارةِ، وسوقِ البغاءِ؛ ليقضي الشاذون من أبناءِ تلك المدنية وَطَرَهُم الشَّهوانيَّ الرخيصَ. واستغلتْ أعضاءَهُم البشريةَ كَقِطعِ غيارٍ في أبشعِ ما عرفتْه الإنسانيةُ. فزادتْ الطينَ بِلّةً، والمرضَ علّةً. وتُعدّ تجارةُ الأطفال ثالثَ أربحِ تجارةٍ في الدول الغربية، بَعْدَ تجارةِ السِّلاح، والمخدرات.

وتقريرٌ آخرُ لمنظمةِ (اليونسفِ) يشيرُ إلى أنّ هناك نحو: (مليون و200 ألف طفل يجري فيهم المتاجرةُ كلَّ عام.)(3).

كلّ ذلك يتمّ تحت سِتار التبنّي! ووكلاء التبنّي عبر شبكة الإنترنت، وغيرها. وسِعرُ الطِّفلِ المتبنّى يتراوح ما بين 15 - 30 ألف دولار(4).

وتعدّ أوروبا (الدجاجةَ السِّحريةَ التي تبيضُ ذهباً) من هذه التجارةِ الإجرامية. ولفتَ تقريرٌ للأممَ المتحدة إلى حقيقة مفادها، أنّ أوروبا تمثّل سوقاً مهماً لهذه التجارة(5). فإن كان التبنّي في الجاهليةِ الغابرةِ، له مضامين ذاتُ أبعادٍ اجتماعيةٍ، فالتبنّي في العصرِ الحديثِ، له أغراض رخيصة تحطّ من قيمة الإنسان، والطفولة. وهذه الدراسة المتواضعة تقف على نظرة الشريعة الإسلامية من التبني.

تعريف التبني في اللغة:

جذر كلمة التبني هو: بَنَى. (الباء، والنون، والياء أصل واحد، هو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض)(6).

ويقال: (تبنيّته، أي ادّعيت بُنُوته. وتبنّاه: اتخذه ابناً)(7)، وقال الزجاج: (تبنّى؛ به يريد تبنّاه)(8).

وأستطيع القول: إنّ التبنّي: (هو ادعاء الأبوة، بأن يتبنّى الرجل ابناً، معروف الأب،

والنسب، أو ابناً مجهول الأب، والنسب).

والآية الكريمة ذكرت الحالتين معاً في نصّ واحد، من قول الله سبحانه وتعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} (9).

واقع التبني قبل الإسلام:

كان التبنّي عادةً منتشرة بين الأمم، ومسلكاً اجتماعياً سلكه العرب، قبل تحريمه في الإسلام، كما سلكه غيرهم. قيل: (كان الرجلُ في الجاهلية إذا أعجبه جَلَدُ الرّجل وظَرفُه ضمّه إلى نفسه، وجعل له مثلَ نصيبِ الذّكرِ من أولاده من ميراثه، وكان ينسب إليه فيقال: فلان بن فلان)(10).

ومن المعلوم أنّ النبي ﷺ قبل النّبوة، والبعثة، كان قد تبنّى زيدَ بن حارثة ﷺ؛ وذلك جرياً على عادة العرب، والمجتمع آنذاك. وكان زيدٌ ﷺ، شاباً فتياً، توسّم فيه النبي ﷺ الفلاح، والخير. (وقد اشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ ـ؛ فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ؛ فتبنّاه رسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة. وطاف به رسول الله ﷺ حين تبنّاه على حِلَقِ قريش، يقول: هذا ابني وارثاً، وموروثاً، يشهدهم على ذلك)(11).

فكان المُتبنّى يعامل معاملة الابن الحقيقي، من حيث الميراثُ، والنسب، يَحلّ له، ويُحرم عليه ما للابن الحقيقي.

دوافع التبني:

دوافع التبني متشعّبة؛ فقد يكون لضمّ طفلٍ مجهولِ النّسبِ شفقةً عليه، وقد يكون سببُه إعجابَ المتبنّي بالمتبنّى قوّةً في الجسم، تستغلّ في العمل، أو جمالاً في الشكل؛ فيُستلطف، وقد يكون لإشباع غريزة حبّ البنين؛ فيتبنّاه مبتلىً بالعقم. وربما يقع المتبنّى في سبي؛ فيباع، ويشترى على عادة الرقيق في ذلك الحين.

تحريم التبني في الشريعة الإسلامية:

حرّمت الشريعة الإسلامية، التبنّي تحريماً صريحاً مؤكّداً. وأدلة التحريم هي:

قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}(12). ومعنى الآية: (وما جعل دعيّك ابنك. يقول: إذا ادعى رجل رجلاً، وليس بابنه)(13).

1 - قوله تعالى: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ} (14).

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ، حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ الله }) (15).

2 - قوله تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}(16).

فالآية الكريمة نفت أن يكون محمدٌ رسول الله ﷺ أباً لأحد من رجالهم، فالابن الحقيقي؛ هو الابن الآتي من صُلْب الرجل، وليس المدَّعى. قال الله ﷻ: {وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ}(17)، والحلائل هنّ الزوجات، سمّيت حليلة؛ (لأنها تحل معه في فراش واحد)(18).

التبني مخالف لحقيقة الواقع:

إذا أمعنّا النظر في معنى التبني، فإننا نجده مخالفاً لحقيقة الواقع، فكلمة ابن، أصلها من الفعل (بنى، والباء، والنون، والواو، كلمة واحدة؛ وهو الشيء يتولّد عن الشيء، كابن الإنسان وغيره)(19).

فأين التوالد الذي تمّ بين الأم والابن المدّعى، وهنا ندرك المعنى البلاغي للآية الكريمة، من قوله سبحانه وتعالى: {وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}(20). فالتبني قول بالأفواه، لا حقيقة له في الواقع.

وكانت العرب تدرك في ضمائرها، أنّ ما تقوم به من التبني يخالف الحقيقة والواقع، وليس الابن المتبنّى كالابن الحقيقي المتولد من الأم. فقالوا في أمثالهم: (ابنك من دمى عقبيك)(21).

التبنّي خلط كاذب للأنساب:

عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة، رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ) (22).

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلا(23)) (24)

التبنّي يتناقض مع الحقائق التي سطّرها الإسلام:

التبنّي يتناقض مع حقائق الصدق التي سطّرها الإسلام في حياة العرب منذ نزول القرآن الكريم؛ فقد قام الإسلام، وعقيدته على الحقائق الدامغة، والأسس الواضحة التي لا لُبس فيها، وحارب الغموض، والزّيف، والخرافة، والكذب. وكانت أهم الحقائق هي حقيقة توحيد الله سبحانه وتعالى، ومن ثَمّ بنى الإسلام شرائعه على الحقيقة الساطعة. وإذا نظرنا إلى التبنّي؛ فإننا نراه من جملة الأكاذيب الاجتماعية، والمخالفات الجليّة للحقيقة، واعتداء على صِدق البنوّة المتولدة من النّسب الصريح.

والقرآن الكريم حارب الزّيفَ، والأقوال الباطلة كلَّها، من ذلك، حربه على ادعاء الكاذبين، والزّاعمين أنّ زوجاتهم كأمهاتهم. وهنّ لسن في الحقيقة أمهات. وعدّ هذا القول زوراً، ورتّب عليه عقوبة. قال سبحانه وتعالى: {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}(25)(26).

التبنّي سَلْب المتبنّى أعزّ شيء عليه وهو أبوه ونسبه:

وهناك مثلبة أخرى من مثالب التبنّي، وهي الاعتداءُ الصارخ على نسب المتبنّى، وسلبُه أعزَّ شيء عليه في الوجود، وهو أن يعلم من أبوه؟ ومن أين هو؟ وإلى من يعود نسبه؟ والاعتداء على هذه الحقوق، هو غاية السّلب، والامتهان له.

وتتّضح شكوى أليمة شكاها متبنّى بمرارة، وحرقة، تعبران عن النزعة العميقة لمعرفة

مجهول النسب من أبيه الحقيقي. فكان يقول الصحابي أبو بكرة ﷺ: أنا من مواليكم. قال الراوي عنه: (والله إني لأظنّه لو علم أنّ أباه كان حماراً لانتمى إليه)(27) فهو يريد أن يعرف الحقيقة، حتى ولو كان الأب حماراً، لقرّت نفسه الحائرة البحّاثة عن سؤال حَارَ فيه عقلُه، يقول: من هو أبي الحقيقي؟؟ هنا يُفهم مدى حاجة الابن؛ لأن يعرف من أبوه؟

فكل أشكال التبنّي لا تغني عن أن يقف الابنُ لحظةً مع الحقيقة، مهما كانت هذه الحقيقة. حتى لو كانت حماراً(28).

التبنّي يتصادم مع المفاهيم الإسلامية لأحكام البيت المسلم:

للشريعة الإسلامية أحكامها الرائعة في البيت المسلم، فنظّمت العلاقة في داخل البيت، وقررت تشريعاتٍ، حولت داخل البيت إلى حياة خاصة، يعيش فيه أهله ممن يجمعهم رحم واحد.. وشرعت أحكاماً أخرى لغير أهل البيت من غير المحارم. وهي في ذلك كلّه تؤسس للحياة السعيدة، فهناك أحكام للعورات، والاستئذان. نزلت بها آيات كريمات في سورة النور، وغيرها.

أما هذا الابن المتبنّى في داخل حصن الأسرة، فلا علاقة له من قريب ولا من بعيد بهذه الأحكام، وهو غريب عن أهل البيت، ومكثه في البيت سيطلعه على عورات محرمة عليه، فلا الأمّ أمّه، ولا الأخت أخته، وإن كانت بنتاً، فلا الأب أباها، ولا الأخ أخاها. فبأي حقٍّ يأخذ ما ليس له، فالتبنّي أصل باطل، وما يقوم عليه من فرع؛ فهو باطل.

التبنّي يعطي المتبنّى ما ليس له من الحقوق، ويفرض عليه ما لا يجب عليه من الواجبات:

الادعاء ببنوة ابن، يعني أن تثبت الحقوق الإرثية لهذا المدّعى، وينال ما ليس حقّاً له؛ فيصبح ابناً له ما لسائر الأبناء، أو إن كانت بنتاً لها ما لسائر البنات. ومن أسباب الإرث القرابة النسبية. فأين هي القرابة النسبية التي تجمع هذا الدّعيّ بمتبنّيه. قال تعالى: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ}(29) كما أنّه سيكلف في حال غناه

أن ينفق على أبيه المدّعى، وأمّه المدّعاة كذلك. وربما يكون له أب يتلظى شَظَفَ العيش لا يعنيه أمره. أو أمّ هالكة من الفقر.

فالتبنّي يُحْدِثُ خللاً كبيراً في النسيج الاجتماعي، كما أنه قد يكون سبباً من أسباب الفتنة بين الأبناء، وهذا الدخيل عليهم. فربما تقع المشاحنات بين الأولاد من الرحم الواحد، فكيف إذا علموا بدخيل ينازعهم حقّاً ليس له فيه ناقة، ولا بعير؟

الحل الإسلامي الأمثل:

لقد أعطى الإسلام البديل عن التبنّي الخادع، وكان البديل يكمن في الرَّحم الكبير الذي يلتقي فيه أبناء الإسلام جميعاً؛ ألا وهو رَحِم الأخوة الإسلامية القائمة على الإيمان بالله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ}(30)، وأجازت الشريعة للابن مجهول النّسب أن يدخلَ في موالاة قوم آخرين ارتضاهم لنفسه، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: (ومواليكم). (والمراد بالموالاة موالة المحالفة. فالمحالفة مثل الأخوة)(31)

والابن مجهول النسب من الممكن أن تستخرج له شهادة ولادة باسم مستعار من أسماء رباعية، كما يمكن أن يستظل هذا الطفل بمظلة عائلة ترعى شؤونه، وأن يعلم الطفل لاحقاً، بأنّ أباه قد توفّاه الله سبحانه وتعالى، فاحتضنته أخاً في الدين، فإذا ما بلغ سنّ البلوغ طُبِّقت عليه أحكام الشريعة من حيث الاختلاط، وكشف العورات. وروعيت بحقه أحكام الشريعة. وكذلك الحال إن كانت بنتاً. ولا يسمح ببقاء الحال على ما كان قبل البلوغ، أو أن يمتدّ إلى سن ثماني عشرة سنة. بدعوى أنّه طفل. فلا طفولة شرعاً، ولا عرفاً لمن يبلغ أو تبلغ ثماني عشرة سنة.

وتعريف الطفل بواقع الحال، أنه ليس ابناً على وجه الحقيقة للأسرة التي احتضنته، هو أمر مهم، فإذا ما علم الطفل بالحقيقة من غير الأسرة، فسيجلب هذا له العُقد النفسية، وربما كراهية الأسرة. ويحسن تعريف الطفل بالحقيقة بطريقة سلسة سهلة تراعي نفسيته، وتكوينه.

كما عالجت الشريعة ظاهرة الطفل الذي لم يعرف أبوه، بكفالة اليتيم:

عن سهل ﷺ قال رسول الله ﷺ: (أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا)(32) وعن مالك بن الحرث ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: (مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ...)(33) وكان النبي ﷺ يتيماً مكفولاً، وأطلق عليه العرب: (خير المكفولين)(34)

وكفالة اليتيم تشمل الحنان، والرعاية والتربية، والإنفاق، وحسن المعاملة.

الهوامش:

1. التكوير: 8 – 9.

2. ينظر: UNICEF ATA GLANCE . والمصدر لم ترقم فيه الصفحات. وانظر: بدوي، عمار توفيق: كفالات الأيتام. القدس: إدارة أوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية. 1413هـ/2010م. ص8.

3. ينظر: الاتجار والاستغلال الجنسي www.unicef.org

وينظر:www.intranet.unicef.org/geneva/onlinemagazine.nsf

4. ينظر: الاتجار والاستغلال الجنسي unicef.org. وينظر: تقرير المركز العربي للمصادر والمعلومات حول العنف والمرأة. مركز الأخبار أمان. بتاريخ 15/آب/2005. وفي التقرير: أكثر من مليون طفل يباعون سنوياً مقابل عشرة مليارات دولار. يقول آدم برتمان مؤلف كتاب أمة التبني، والمدير التنفيذي لمعهد إيفان بي دونالدسون للتبني، إنّ الإنترنت غيرت من جوهر التبني، وذلك بزيادة سرعة العملية، وتوفير أدوات تربوية، وموارد دعم رائعة. ينظر: المصدر السابق.

5. ينظر: تقرير المركز العربي للمصادر والمعلومات، حول العنف والمرأة. مركز الأخبار أمان. بتاريخ 15/آب/2005.

6. ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الفكر. 1399هـ/1979م. ج1، ص202. باب الباء والنون وما يثلثهما في الثلاثي.

7. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. 15مج. بيروت: دار صادر.. ج14، ص91. فصل الباء. مادة بنى.

8. المصدر السابق: ج14، ص91. مادة بنى.

9. الأحزاب: 5.

10. الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. 4مج. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ، ولا رقم الطبعة. ج3، ص250. وينظر: القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. 20مج. ط2. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة: دار الشعب. 1402هـ ج14، ص108.

11. ينظر: الحاكم، محمد بن عبد الله : المستدرك على الصحيحين. 4مج. ط1. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. 1411هـ/1991م. ج 3، ص235. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله: الاستيعاب في معرفة الصحاب. 4مج. ط1. تحقيق محمد علي البجاوي. بيروت: دار الجيل. 1412هـ ج2، ص542. الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء. 23مج. ط9. تحقيق شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1413هـ ج1، ص223.

12. الأحزاب: 4.

13. الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 12مج. بلا طبعة، ولا تاريخ. ج10، ص255.

14. الأحزاب: 5.

15. صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله.

16. الأحزاب: 40.

17. النساء:23.

18. الطبري: جامع البيان. ج3، ص662.

19. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج1، ص303. باب الباء والنون.

20. الأحزاب: 4.

21. البكري، أبو عبيد: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال. 1مج. ط3. تحقيق د. إحسان عباس ود. عبد المجيد عابدين. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1983م. ج1، ص223.

22. صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان.

23. الصرف: التوبة. والعدل: الفدية. ينظر: ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث. 5مج. تحقيق محمود الطناحي. المكتبة الإسلامية. لم يذكر الطبعة، وبلد النشر، والتاريخ.ج3، ص46.

24. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة.

25. المجادلة: 2.

26. كفارة الظهار: عتق رقبة فمن لم يجد، صيام شهرين متتابعين، إذا لم يستطع يطعم ستين مسكيناً.

27. الطبري: جامع البيان. ج10، ص252.

28. وفي هذا المقام أستغرب ما ذُكر في كتاب (حماية الطفل في الأراضي الفلسطينية) من قيام دائرة الأسرة والطفل في وزارة الشؤون الاجتماعية برفع دعوى أمام مجلس القضاء الأعلى؛ لكي يصدر فتوى تعطي هذه العائلات الحق بتغيير اسم الطفل، ينظر: سكرتاريا الخطة الوطنية للطفل الفلسطيني، الباحثتان دهب مصلح وكاثرين تيلر: حماية الطفل في الأراضي الفلسطينية المحتلة ورقة الموقف الوطني. ص94. طُبع الكتاب بدعم مالي من منظمة اليونسف. وشارك في إعداد الكتاب عدد من الوزارات والمؤسسات الفلسطينية. أقول: كيف ترفع قضية لسلب الطفل حقه في أبيه وأمه الحقيقيين؟!

29. النساء: 11.

30. الأحزاب: 5.

31. ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. 15مج. تونس: دار سحنون. ج21، ص263. بلا طبعة، ولا تاريخ.

32. صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان.

33. مسند أحمد، أول مسند الكوفيين، مسند مالك بن الحارث.

34. (جاء وفد هوازن، وأتوا رسول الله ﷺ بالجعرانة، وقد أسلموا. قالوا: إنا أصل، وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك؛ فامنن علينا من الله عليك. وقام رجل من هوازن أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير يكنى بأبي صرد، فقال: يا رسول الله نساؤنا عماتك، وخالاتك، وحواضنك اللاتي كفلنك. ولو أنا لحقنا الحارث بن أبي شمر والنعمان بن المنذر ثم نزل بنا منه الذي أنزلت بنا لرجونا عطفه، وعائدته علينا وأنت خير المكفولين). ينظر: الطبراني: المعجم الكبير. ج5، ص270. وينظر: الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح السيرة النبوية. 1مج. ط1. عمّان: المكتبة الإسلامية. ص20.

حكم الاشتراك في العقيقة

إعداد : مديرية البحوث والتخطيط / دار الإفتاء الفلسطينية

العقيقة لغة: أصل العقيقة من العق؛ وهو الشق والقطع، وقيل للذبيحة عقيقة، لأنه يشق حلقها، ويقال: عقيقة للشعر الذي يخرج على رأس المولود من بطن أمه(1).

العقيقة اصطلاحاً: هي الذبيحة التي تذبح للمولود يوم سابعه، شكراً لله تعالى(2).

حكم العقيقة: اختلف الفقهاء في حكمها إلى أقوال عدة؛ فذهب الأحناف إلى أنها مباحة(3)، وذهب الجمهور من المالكية والحنابلة ومن وافقهم(4) إلى أنها سنة من مال الوالد عن المولود الذي تلزمه نفقته؛ وقال علماء اللجنة الدائمة وأصحاب كتاب الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة: إنها سنة مؤكدة(5)، في حين أن أهل الظاهر ذهبوا إلى أنها واجبة(6).

واستدل الجمهور من المالكية والحنابلة بقول السيدة عَائِشَةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أَنْ نَعُقَّ عَنِ الْغُلَامِ شَاتَيْنِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةً(7) ولما رواه سَمُرَةَ – رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (الْغُلَامُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ، يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ)(8).

وقد ألحق جمهور الفقهاء أحكام العقيقة بمعظم أحكام الأضحية، مثل الأكل منها،

والهدية و الصدقة، إلا أن بعضهم استثنى منها مسألة الاشتراك في العقيقة؛ فمن المعلوم أن الأضحية من الإبل والبقر تجزئ عن سبعة، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ – رضي الله عنه– قَالَ: (نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ؛ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ)(9).

ولكن هل يصح الاشتراك في العقيقة، كما هو الحال في الأضحية؟

أو بمعنى آخر، هل يجوز أن يشترك سبعة أشخاص في جزور أو بقرة عن سبعة أولاد، أو يشترك سبعة، بعضهم يريد اللحم، وبعضهم يريد العقيقة، في جزور أو بقرة، فهل يجزئ هذا الاشتراك في العقيقة؟

اختلف العلماء في المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: يجوز ذلك، وهو قول الشافعية، قال النووي: (ولو ذبح بقرة أو بدنة عن سبعة أولاد، أو اشترك فيها جماعة، جاز سواء أرادوا كلهم العقيقة أم أراد بعضهم العقيقة وبعضهم اللحم كما سبق في الأضحية) (10).

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري: (وذكر الرافعي بحثاً أنها تتأدى بالسُبُع، كما في الأضحية) (11).

القول الثاني: لا يجوز الاشتراك في العقيقة، فإذا أراد شخص أن يعق ببقرة أو جزور، فيجوز ذلك عن مولود واحد فقط، وهو قول الحنابلة، ونص عليه الإمام أحمد. قال الخلال في جامعه: (باب حكم الجزورعن سبعة: أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد، أنه قال لأبي عبد الله – الإمام أحمد – يعق بجزور وقال الليث قد عق بجزور. قلت: يعق بجزور عن سبعة؟ أنا لم أسمع في ذلك بشيء، ورأيته لا ينشط لجزور عن سبعة في العقوق)(12).

فالحنابلة يرون أن الرأس من البقر أو الإبل يجزئ عن مولود واحد فقط، ولا يصح

أن تكون البقرة عن سبعة، ولا الناقة عن سبعة، قال المرداوي: (ولو عق ببدنة أو بقرة لم يجزه إلا كاملة) (13)، وهو قول المالكية(14).

وحجة الشافعية القياس على الأضحية والهدي؛ حيث يجوز الاشتراك في الأضحية والهدي، والبدنة أو البقرة عن سبعة أشخاص، فقد ورد في الحديث عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: (نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ)(15).

وحجة الحنابلة في عدم الجواز، عدم ورود دليل على ذلك.

قال العلامة ابن عثيمين معلقاً على قول موسى الحجاوي المقدسي: (وحكمها كالأضحية، إلا أنه لا يجزئ فيها شِرْك في دم – أي العقيقة لا يجزئ فيها شِرْك دم –، فلا تُجزئ البعير عن اثنين، ولا البقرة عن اثنين، ولا تجزئ عن ثلاثة، ولا عن أربعة، من باب أولى) (16). ووجه ذلك:

أولاً: أنه لم يرد التشريك فيها، والعبادات مبنية على التوقيف.

ثانياً: أنها فداء، والفداء لا يتبعض؛ فهي فداء عن النفس، فإذا كانت فداء عن النفس؛ فلا بد أن تكون نفساً، والتعليل الأول لا شك أنه الأصوب؛ لأنه لو ورد التشريك فيها بطل التعليل الثاني، فيكون مبنى الحكم على عدم ورود ذلك.

وعلل ابن القيم عدم جواز الاشتراك في العقيقة بكلام لطيف، حيث قال: (لما كانت هذه الذبيحة جارية مجرى فداء المولود؛ كان المشروع فيها دماً كاملاً، لتكون نفسٌ فداء نفسٍ، وأيضاً فلو صح فيها الاشتراك؛ لما حصل المقصود من إراقة الدم عن الولد، فإن إراقة الدم تقع عن واحد، ويحصل لباقي الأولاد إخراج اللحم فقط، والمقصود نفس الإراقة عن الولد، وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظه من منع الاشتراك في الهدي والأضحية، ولكن سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم أحق وأولى أن تتبع، وهو الذي

شرع الاشتراك في الهدايا، وشرع في العقيقة عن الغلام دمين مستقلين، لا يقوم مقامهما جزور ولا بقرة، والله أعلم) (17)، كذا قال، وينبغي أن يقال: سبع جزور، ولا سبع بقرة.

ومع أن الحنابلة ممن يرون أن حكم العقيقة هو حكم الأضحية، إلا أنهم استثنوا هذه المسألة من ذلك، كما ذكر المرداوي: (ويستثنى من ذلك أنه لا يجزئ فيها شرك في بدنة ولا بقرة) (18).

القول الثالث: إنه جائز فيما هو قربة لله تعالى؛ من أضحية، أو عقيقة، أو هدي، وهو رأي للأحناف.

وإن كان نقل عن الإمام أبي حنيفة أنه كره الاشتراك مع وجود القربة، ولكن يحمل هذا النهي على أنه قربات متعددة، كأن يكون اشتراك في عقيقة مع أضحية مع نسك، أما أن يكون الاشتراك في بدنة لتعدد قربة واحدة، فلا يرون به بأساً.

بل نقل عنه قوله: لو كان هذا من نوع واحد لكان أحب إلي (19)، وهذا الرأي مروي عن الإمام أبي يوسف(20).

كما أنه ليس هناك من الأدلة الشرعية ما يدل على النهي في هذا، فيبقى على الإباحة.

قال زفر من أصحاب أبي حنيفة: لا يجزئ الذبح عن الأضحية أو غيرها من القرب عند الاشتراك، إلا إذا كان المشتركون متفقين في جهة القربة، كأن يشترك سبعة كلهم يريد الأضحية، أو سبعة كلهم يريد جزاء الصيد، فإن اختلفوا في الجهة لم يصح الذبح عن واحد منهم، لأن القياس يأبى الاشتراك، إذ الذبح فعل واحد لا يتجزأ، فلا يتصور أن يقع بعضه عن جهة، وبعضه عن جهة أخرى، لكن عند اتحاد الجهة يمكن أن تجعل كقربة واحدة، ولا يمكن ذلك عند الاختلاف، فبقي الأمر فيه مردودًا إلى القياس (21).

هذه مجمل الآراء في حكم الاشتراك في العقيقة، والذي يترجح لنا بأن مذهب الشافعي

هو أيسر الآراء في المسألة، وكذلك الأحناف، بالشروط المذكورة أعلاه، وذلك أنه يوافق عموم الأدلة التي لم تفرق في ظاهرها بين الأضحية والعقيقة، وهو الأنسب في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي يعيشها أبناء شعبنا، والله تعالى أعلم.

الهوامش:

1. لسان العرب 10 /257، الفقه الميسر في ضوء القرآن والسنة، 1 /196.
2. الموسوعة الفقهية الكويتية،27 /22.
3. بدائع الصنائع، 5 /69.
4. الشرح الكبير للشيخ الدردير، 2/ 126، القوانين الفقهية191، المغني8 /645، كشاف القناع3 /20، مغني المحتاج 4 /293، المهذب1 /241.
5. الفقه الميسر في ضوء القرآن والسنة،1 /196.
6. قال بذلك أهل الظاهر، الاستذكار،5 /315، فتاوى اللجنة الدائمة،11 /439.
7. سنن ابن ماجه، كتاب الذبائح، باب العقيقة.
8. سنن الترمذي، كتاب الأضاحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب من العقيقة.
9. صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الاشتراك في الهدي وإجزاء البقرة والبدنة كل منهما عن سبعة.
10. المجموع، 8/ 321.
11. فتح الباري، 9 /593.
12. تحفة المولود،1 /82، نقلاً عن كتاب (الجامع في الفقه من كلام الإمام بأخبرنا وحدثنا) للخلال.
13. الإنصاف، 4 /111.
14. الذخيرة، 4 /166، حاشية العدوي،3 /48.
15. رواه الترمذي، كتاب الأضحية، باب مَا جَاءَ فِي الاِشْتِرَاكِ فِي الأُضْحِيَةِ وقال: هذا حديث صحيح حسن، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وغيرهم.
16. ملتقى أهل الحديث1، 42 /444، وموقع الإسلام سؤال وجواب/http://www.islamqa.com/ar/ref
17. تحفة المولود،1 /82.
18. الإنصاف، 4 /113.
19. بدائع الصنائع، 5 /72.
20. الفتاوى الهندية، 5 /304.
21. بدائع الصنائع، 5 /72.

بحث العدد

الخوف من الإسلام في الغرب
حقيقة أم وهم ؟

د. حمزة ذيب - جامعة القدس

يأتي هذا البحث العلمي، ولربما نستطيع أن نطلق عليه أيضاً البحث المجتمعي والتربوي؛ لما له من علاقة وطيدة بالزوايا المجتمعية والتربوية، وهو لصيق بها لربما أكثر مما هو لصيق بالجانب العلمي والبحثي. من هنا تأتي أهميته في هذا الوقت على وجه التحديد، حيث تسود حالة من التخوف من الإسلام، والتركيز على مصطلح الإرهاب، ومحاولة إلصاق الإعلام هذا المصطلح بالإسلام، وربطه به بصورة مباشرة، مما ينعكس سلباً بالطبع على العرب والمسلمين. وفي تقديري أن الذي صنع ظاهرة التخوف من الإسلام إنما هو الإعلام، سواء أقصد ذلك وكان مخططاً له، أم جاء عفوياً، نظراً لطبيعة الإعلام، ووسائله المنتشرة، والمختلفة والمتاحة في الوقت نفسه بيسر وسهولة في عالمنا اليوم، حيث التقدم والتطور، سواء أكان ذلك في الجانب التقني والصناعي والتكنولوجي، أم في جانب الأساليب والمعرفة، وطرائق آليات الخطاب في المنابر وتنوع المواقع الكثيرة والمتعددة.

وأقول في سياق هذا البحث بأن الخوف من الإسلام في الغرب بعضه حقيقة، وأكثره وهم وافتعال. وهذا له جانب من التعليل والتحليل. وأقول في الوقت نفسه بأن الخوف من الإسلام في الغرب ما هو إلا وهم، وتضخيم للصورة السلبية، وأثناء التشخيص لهذه العلة وهذا المرض، يغيب عن الذهن أو تغيب قصداً الأسباب الحقيقية لهذا

التشنج الحاصل ما بين الغرب والإسلام، ولماذا تقع مثل هذه الأزمات؟، وما الدوافع لهذا الاحتقان ما بين هذين الجسمين؟ وبالطبع حينما نقول الإسلام، فإنما نقصد المسلمين، لأن الإسلام نظام وقانون، ومجموعة من العقائد والمعارف والمبادىء والمثل والقيم، والفلسفة الحياتية والسلوكية. وليس لأحد من حجة على الإسلام وإنما الإسلام هو الحجة على الجميع. من هنا كان الرسول الكريم صلوات الله عليه حينما كان يرسل الجيش الإسلامي هادياً ومبلغاً، ثم غازياً، يقول لقائده ومدبر أمره: (... وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ، وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمَ اللَّهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمَ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لا ...). (1)

الشاهد من ذلك أنه من المفترض الفصل والتمييز بين فعل المسلم والإسلام. إذ هناك كثير من الأعمال والأفعال والسلوكيات التي تصدر عن مسلمين ولا يقرها الإسلام، ولا يرضى بها، بل تتناقض ومبادىء الدين الحنيف. كما هناك أفعال تصدر عن مسلمين بحجة الإسلام والعقيدة، والإسلام الحق منها براء. وما بعض ما يجري هنا وهناك من الأفعال الشنيعة، والتي هي ألصق بالجرائم منها بالجهاد، إلا نموذج على ما نقول، والإسلام منها براء براءة الذئب من دم يوسف. والصومال أحد هذه النماذج. من هنا نقول: لا يصح ولا يجوز أن نعتبر كل فعل يصدر عن شخص باسم الدين أنه فعلاً من الدين الحنيف، وموافق لقواعده ومبادئه وفلسفته، وأن هذا الفعل من مشكاة الإسلام وروحه وعقيدته.

لذلك نقول: إن بعض ما يجري في الغرب من أفعال ترتكب باسم الإسلام، أو يتبناها شباب ينتمون إلى الإسلام، غيرة على دين الله، وحباً في الأمة الإسلامية، ودفاعاً عن حياضها وقضاياها هنا وهناك، تتضخم عبر وسائل الإعلام الغربية، وتتناقلها الوسائل

المختلفة من مرئية ومسموعة ومقروءة، وتنسب إلى الإسلام الحنيف، وتغدو شعاراً له ودثاراً، ويلحق بعد ذلك الضيم بكل من هو عربي ومسلم، ويصبح الإرهاب لصيق كل فرد من هذا الجنس العربي والمسلم، وعنواناً له وعليه. فمما لا شك فيه أن في ذلك خلطاً للأوراق، وضياعاً للمفاهيم الصحيحة، وتشويهاً لصورة الحقائق، وبعداً عن المسارات السليمة في التفكير والتقويم والدراسات.

وعلى الرغم من أننا لسنا مع هذه الأفعال أو ردات الفعل، بسبب ما صنعه الغرب في بلادنا وتجاه قضايانا، حيث يأتي سلوك بعض أفراد المسلمين كردات فعل لما يكون لبعض المواقف السياسية أو العسكرية من بعض دول الغرب، فيظلم المسلمون من هذه السياسات الغربية الجائرة والظالمة، فتثور ثائرة بعض الشباب المسلم، حيث الشباب أينما كانوا شعبة من الجنون كما يقال، ولديهم الدم الثائر والهادر، فلا يملكون لهم أعصاباً، ولا يصدرون أحياناً في تصرفاتهم وردات أفعالهم عن تروٍ وصبر وأناة، وينأون بأنفسهم عن سياسات بعد النظر، والتسديد في المواقف، والتبصر في عواقب الأمور، فتخطئُهم الحكمة، ويخطئُهم التدبر في النتائج التي تترتب على تصرفات أو مواقف من هذا النوع. وما حادثة برجي مركز التجارة العالمي في أمريكا إلا نموذج على ما نقول. فكان هذا التصرف الخاطىء وغير السليم نتيجة الانحياز الأمريكي الكلي لصالح السياسة الإسرائيلية الغاشمة، وبسبب الدعم الأمريكي المطلق لإسرائيل ذلك بالمال والسلاح والتأييد السياسي في أروقة الأمم المتحدة وغيرها من مختلف المنابر الدولية، وكان هذا الحدث الكبير إبان فترة الانتفاضة الثانية لسنة 2000م بل في أوجها حيث القتل المستعر في الشعب الفلسطيني، وزج فلذات أكباده في السجون الإسرائيلية، وفرض الحواجز العسكرية القاهرة والمذلة للشعب الفلسطيني، وامتداد هذه الحواجز وإغلاق الطرقات في كل مدن وبلدات ومخيمات الضفة الغربية وغزة. فكان القتل الشديد، والقهر المذل، والظلم الكبير واقعاً على الشعب الأعزل المحتل، المشرد المضطهد المظلوم. وكان الموقف الأمريكي مع ذلك كله مؤيداً كل التأييد لهذه

السياسات، بل مدَّ إسرائيل بكل ما تحتاجه من مال وسلاح ومواقف سياسية داعمة ومساندة، فكانت ردة الفعل في ضرب مركزي التجارة في نيويورك. فكان نتيجة لهذه الضربة الوقفة الحازمة جداً، والاستنكار الشديد لها، وردة الفعل القوية لدى الولايات المتحدة الأمريكية بضربها لأفغانستان والإطاحة بحكومة طالبان، وإيقاع المجازر البشعة في الشعب الأفغاني الأعزل الفقير، وإغناء كل وسائل الإعلام بالمادة الإعلامية الكبيرة ضد هذا الفعل، وردات الفعل اللاحقة من إغلاق لهذه المؤسسات والجمعيات، ومصادرة الأموال وتجميدها للمؤسسات الإسلامية والجمعيات الخيرية، ومصادرة الأموال وتجميدها لدى كثير من المؤسسات الاقتصادية الإسلامية، وزج كثير في السجون ظلماً وعداوناً. وما سجن وسجناء غوانتنامو أو أبو غريب إلا نماذج، وكذلك خلق المادة الإعلامية التي تذكر في كل وقت وحين، وفي كل نادٍ ووادٍ اسمها (الإرهاب).

فإذا كان كل ذلك، ألا يصح في المقابل أن تسأل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها لماذا ضربت نيويورك، ولم تضرب (برلين) أو (باريس) أو (روما) أو (لشبونه) أو (استوكهولم) أو (أوسلو) أو سواها من المدن والعواصم الأوروبية؟.

لذلك نقول: إن تخوف الغرب من الإسلام أو المسلمين منه ما يكون حقيقة إذا ما تمثلنا ضربة البرجين، وثبت بالدليل القاطع أن تنظيم القاعدة هو من يقف وراء هذه الضربة وهي من بنات ونتاج أفكاره، وهو الذي قد خطط لها. وكما أسلفنا نحن ضد ما جرى ولسنا معه بحال في حال ثبوته، ولكن في الوقت نفسه على أمريكا أن تسأل نفسها عن سبب ما جرى لها. وينبغي لها أن تتحرى العدالة والإنصاف حين التعامل مع المعطيات الدولية، سيما أنها راعية الأمن والسلام في العالم، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وقد غدت بمثابة الشرطي للعالم أجمع، لأن التوازن قد انتهى بانتهاء الاتحاد السوفياتي وانهياره. وهذا هو المؤمل والمفترض في الولايات المتحدة الأمريكية. ونحن معشر المسلمين نحترم جداً من يرعى شئون العالم، ويسهر على مصالحه، ويسعى ليحقق العدالة في الأرض، ينصف المظلوم من الظالم، ويرفع الظلم عن الضعفاء، ويردع

المتجاوز حدوده، ويوقفه عند حده، سواء أكان هذا الراعي دولة عظمى أم هيئة دولية، وهذا ما نتمناه للولايات المتحدة أن تكونه، وتضطلع به.

وفي هذا السياق نقول بأن التخوف الذي لدى الغرب من الإسلام بما يصنعه بعض المسلمين، يكون الغرب هو المتسبب فيه، والغرب هو الذي يكون قد جنى على نفسه هذه الجناية. ومع كل ذلك، فإننا نقول بأن الخطأ، لا يعالج بالخطأ وإنما يعالج الخطأ بالصواب. وإذا ما اتسعت رقعة الخطأ فإن الخرق حينئذ سيتسع على الراقع، ويضحى العلاج صعباً وتحقيق الوفاق بعيد المنال، لأنه كلما اتسعت دائرة الخلل، كلما كثر العطب وكبر الخراب، وعمت الفوضى، وحلت الكراهية، وحل السخط ما بين الشعوب والنفوس.

ونحن نقول أيضاً بأنه يتوجب على الراشدين والعقلاء والحكماء من سياسيين وإعلاميين وتربويين وموجهين وقادة رأي أن يتولوا هم لا غيرهم إدارة الأزمات والبحث عن حلول معقولة، وأساليب راشدة، وطرائق حكيمة، ويلزمهم قبل غيرهم أن ينهضوا لتسوية الخلاف بأقصر الطرق، وأقلها إثارة، وبالتالي آثاراً، ولا يصح بحال أن نترك القضايا المهمة والأمور الحساسة وذات الشأن للإعلام يوجهها كيفما أراد وشاء. وتخضع هذه الأمور الحرجة والخطيرة للمزاجية وذوي الأهواء والأغراض الذاتية الضيقة، أو ذوي المصالح، فيوجهون الأمور وفق أهوائهم ورغباتهم وأمزجتهم ومصالحهم. لأن هذه الفئات والهيئات من غير الممكن وفق هذه النوايا غير الحسنة أو غير المجردة أن تكون مخلصة الرأي ومخلصة الهدف، أو تستطيع أن تكون عادلة منصفة غير منحازة ولا صاحبة هوى. ومما لا شك فيه أن هذه الفئات غير المنصفة، وغير المحاسبة والمسئولة إن تولت قيادة إدارة الأزمات التي تنشأ هنا وهناك، أو بين الفينة والفينة، فإنها ستعيث في الأرض وفي الآراء وفي النفوس الفساد، وستثير أجواء شديدة من الصراعات حينئذ، وسيعظم الخطب، ويستشري الخطر والضرر، وتدق طبول الحرب، وتقع الفتن التي لها أول، وليس لها آخر.

وهذا تماماً هو الذي فجر الصراع في المنطقة، وقادها إلى حروب مدمرة، وويلات عظيمة، ومصائب جمة، وفتت كليات المجتمع إلى جزئيات، وأحال الرقعة الكبيرة إلى فسيفساء دقيقة، وأشعل النار المستعرة وأحرق الأخضر واليابس، وأتلف النافع واليافع، وما الحرب التي جرت في العراق، وجردت على بغداد إلا شاهدٌ حيٌّ على ذلك فما زالت ظروف العراق في وضع لا تُحسد عليه، بل المنطقة كلها. شنت هذه الحرب المسعورة، ودمرت العراق شر تدمير، وأتلف ما بني فيها عبر عقود وكلف المليارات، وما زالت أرض العراق تبتلع المليارات نتيجة الخسائر الفادحة، جراء الغزو وبقاء الجيش الأمريكي فيها. يجري كل هذا التدمير ثم يقال بعد ذلك إن التقارير التي رفعت للرئيس الأمريكي لم تكن صحيحة ولم تكن دقيقة، وكانت خاطئة. فهل حوسب الشخص أو حوسبت الجهة التي رفعت هذه التقارير الزائفة والباطلة، والتي جرت على أمريكا الخسائر الفادحة، وكادت تقوض الاقتصاد الأمريكي؟ بل إن هذا السبب من أهم الأسباب التي أدت إلى الأزمة الاقتصادية في أمريكا، مضافاً إليه أسباب أخرى، ناهيكم عن الاحتقان، وتأزيم العلاقة ما بين العالم الإسلامي وأمريكا، وتآكل الثقة ما بين هذين الجسمين.

الشاهد من ذلك أن هناك أسباباً مفتعلة بأغراض شتى، ونوايا مختلفة، يسخر الإعلام ويوجه نحو هذه الأغراض والأهداف المعينة والمحددة، حتى تسوق هذه الأهداف لدى الجمهور من الناس، وهناك المثل السائر (اكذب اكذب حتى يصدق الناس). كانت وسائل الإعلام تضخم بل تفتعل أسباباً للحرب على العراق، على رأسها وأهمها أن العراق يمتلك أسلحة كيماوية، وأسلحة غير تقليدية، ثم ثبت عكس ذلك تماماً، إذ لم يعثر على شيء من هذه الأسلحة أو الادعاءات، وأعلن بأن التقارير التي رفعت للرئيس الأمريكي لم تكن صحيحة ولا دقيقة. فمما لا ريب فيه أن الخوف من العراق لم يكن في محله، والأسباب التي قادت إلى هذه الحرب لم تكن موجودة. ولكن الحرب على بغداد كانت وراءها أسباب خفية غير معلنة، وأهداف وغايات غير التي صرح بها، وجيرت الحرب لأجلها.

وهناك سجن غوانتنامو وسجناؤه الذين أودعوهم فيه، وقد ملأ أمر هذا السجن السمع والبصر، واحتل مساحة في الإعلام كبيرة، وتحدث فيه القاصي والداني، وصوّر سجناؤه على أنهم أكثر الناس إجراماً، وكان هناك ولأجل ذلك الصخب واللغط، وتنادى بهذه القضية الشرق والغرب.

وقد أودع كل هؤلاء السجن، وعوملوا أقسى معاملة وأبشعها وأشنعها دون أن يقدم لأحدهم لائحة اتهام أو يقاضى وفق الأنظمة والقوانين المعمول بها دولياً. ثم تبين أنهم أبرياء، ولا علاقة لهم بتنظيم القاعدة، وكان منهم الصحفي الشهير سامي الحاج الذي لم يكن له أدنى علاقة بأي تنظيم سياسي، وإنما كان يمتهن الصحافة. فكان نتيجة عدم الثقة والفوضى التي تمت أن أودع هذا الصحفي السجن مثل أي سجين آخر. وكل السجناء الذين أخرجوا من هذا السجن لم يثبت لواحد منهم أية علاقة بالإرهاب، أو تنظيم القاعدة. وإنما كان ذلك بسبب الإعلام المسموم، والإعلام غير الدقيق، وواقع الإعلام غالبه ليس دقيقاً. فكثير منه مبني على اجتهادات وظنون وتحليلات وتكهنات، أو جرياً وراء الخبر المثير، بغض النظر عن صحته. وكم من مؤسسات وأفراد وهيئات وجمعيات خيرية ورجال أعمال وإعلاميين ظلموا نتيجة هذه الفوضى الإعلامية التي خلقتها وسائل الإعلام، والمادة الإعلامية هذه بعيدة بعد المشرقين عن الحقائق.

وكم تخلق مثل هذه الفوضى الإعلامية الكبيرة التي تغطي مساحة عظيمة في العالم أجمع نتيجة التقدم الكبير في التقنيات والتكنولوجيا الإعلامية ومواقع الإنترنت والفضائيات التي جعلت هذه الوسائل الإعلامية العالم كله كأنه مدينة أو قرية واحدة. وما تغطية مباريات كرة القدم لكأس العالم لسنة 2010م إلا مثال ونموذج لهذه التقنيات والتكنولوجيا العظيمة. لذا ليس من الغريب أن يجعل الإعلام من الظنون حقائق، ومن العدالة باطلاً، ومن الباطل حقاً، ويصور البريء على أنه مجرم، والمجرم على أنه بريء، وهكذا. وبالتالي قد تسود كثير من المفاهيم غير الصحيحة، والاتهامات غير الدقيقة، وتشوه صورة الحقائق، وينال ممن يراد النيل منه، وهو بريء، براءة الذئب من دم يوسف.

وهذه الحملة الإعلامية الموجهة هي التي خلقت الخوف في الغرب من الإسلام. وهي في جملتها بعيدة كل البعد عن الصواب والحق المبين. وبالتالي فإن أكثر تخوف الغرب من الإسلام ليس قائماً على الحقائق والأمور الدقيقة والتصورات السليمة.

من أين يأتي تخوف الغرب من الإسلام؟

لتخوف الغرب من الإسلام أسباب عديدة ومختلفة، أكثرها وجلها في منأى عن الحقيقة، وهي تخرصات وأوهام وظنون، نتيجة عوامل عدة، وثقافة مجتمعية متنوعة، ومن الممكن أن نأتي على بعضها؛ فمن هذه العوامل:

1 - **الإعلام**: وهذا السبب قد تحدثنا عنه سابقاً، وأتينا على كثير من مفاصله، وهو الذي كنا بصدده في بداية هذا البحث.

2 - **بعض الكتاب الغربيين، ويلحق بذلك بعض المستشرقين والمؤرخين.**

إن مما يؤسف له أن هناك طائفة من الكتاب في الغرب، يلعبون دوراً ليس يسيراً في التحريض على الإسلام وتشويه صورته، والنيل من تاريخه الناصع، وقلب حقائق هذا التاريخ، ولا يتناولونه بصورة نزيهة وموضوعية. فيصورون الإسلام على أنه دين حروب وقتال، وهو في مبادئه يحض على العنف واستخدام القوة، وينأى بنفسه عن الرحمة والعفو. ويصورون الأمور للرأي العام وللمواطن الغربي على أن المسألة مسألة صراع ما بين الإسلام والغرب، كما هو الشأن في كتاب هنتنجتون (صراع الحضارات). وهذا بلا شك يؤلب النفوس ضد الإسلام، ويشحنها سلبياً تجاه هذا الدين. لأن الكتابة في هذا السياق تؤجج النفوس، وتحملها على الضغينة، والحقد الأعمى، والتشنج غير المبرر، والموقف السلبي. وبالتالي تتخذ المواقف العدائية من الإسلام وأهله. وهذا كله زعم باطل، وإجحاف في حق الإسلام والمسلمين. وهذا ما يرده الغربيون المنصفون أنفسهم، وهذا ما يسطر خلافه الذين يكتبون في الغرب بروح الموضوعية والنزاهة والحيادية. وأنا هنا لست بصدد الرد، ولكنني بصدد إقامة الدليل على هذه الجزئية التي أتحدث في سياقها. وسأسوق جملة من أقوال بعض الغربيين الذين يحرضون على

الإسلام، ويتهمونه بما لا يليق، بما يؤجج النفوس ضده، وهذه ثقافة يحاول البعض نشرها والترويج لها، ومما لا شك فيه أن هذه الإثارة من هذا النوع ضد الإسلام ستحدث تخوفاً لدى البعض في مجتمعات الغرب من الإسلام:

3 - **التاريخ**: هناك طائفة من الناس، وبعضهم من المثقفين -وبكل أسف- ليس لهم من هم أو ثقافة أو معرفة إلا اجترار الماضي، والماضي البعيد، فهو يعيش حاضره في مناخات الماضي والتاريخ، فيقيم العلاقة، ويقوم الأمور، ويزن الناس، ويرنو إليهم رنوه إلى التاريخ، والتاريخ فيه العجر والبجر كما يقال، وفيه ما ليس بحق ولا صدق، إذ الكثير من نصوصه تحتاج إلى دراسة تقويمية وتحليلية، قائمة على التبصر والفهم الدقيق، والنظرة الشمولية والموضوعية، والبحث عن الحقائق، وإعادة النظر في طريقة فهم التاريخ، إذ لا يصح أن يتعامل المؤرخ والناقد وصاحب الرأي أو الكاتب مع نصوص جامدة نقلت وفهمت على ظاهرها، دون الفحص والتدقيق، وإعمال الرأي، وتقليبه على أكثر من وجه.

كما لا يصح أيضاً أن يعيش الإنسان الحاضر متأثراً كل التأثر بالتاريخ على فرض صحة كل ما فيه وصدقه، وهذا بالطبع محال؛ لأن التاريخ وأحداثه وسنيه وشخوصه لهم ظروفهم التي عاشوا فيها، ولهم فلسفتهم الثقافية والسلوكية التي قد تكون مختلفة تمام الاختلاف عما يعيشه إنسان الحاضر. فأحداث الماضي لها أسبابها المختلفة عن الواقع المعاش، والعصر الذي نحن فيه، ولها ظروفها وحيثياتها التي لا يوجد مثيلها في الزمن الحاضر. وبالتالي لماذا يكيف الحاضر وفق ظروف الماضي؟ ولماذا يعاش الواقع من خلال مناخات لا تمت إلى واقع الحال بصلة؟

فليترك التاريخ للتاريخ، وليعش الإنسان وفق معطيات زمانه وحياته المعاصرة، ومما يؤسف له أن هناك من مؤرخي الغرب من يصور الحاضر وفق التاريخ والماضي دون الأخذ بعين الاعتبار المتغيرات والمستجدات، وينأون بأنفسهم عن استلهام العبر والعظات من أحداث الماضي الجسام، والأخذ بكل الأسباب التي تؤدي إلى عدم معاودة التاريخ، بمآسيه

وأحداثه وجراحاته، والعمل على تناسي الماضي الأليم، والماضي الصعب، واستبدال ذلك بالوفاق والاتفاق، ومراجعة الحساب، المراجعة الإيجابية والنافعة والمنجية، والتي تقود إلى الخير والتقدم والتطور والتعاون الإنساني.

على الإنسان المعاصر أن يعيش حياته، ويدفع باتجاه السعادة، آخذاً بكل الأهداب والأسباب التي توصله، وتقوده إليها، لا أن ينبش الماضي ويعيد أحداثه ومرارته وأحزانه، لماذا لا يفكر الإنسان في خلق الظروف، وإيجاد الحياة التي تناسبه، رخاءً وازدهاراً؟ لماذا يريد الإنسان أن يقوقع نفسه ويعود إلى أحقاب التاريخ التي تضر ولا تنفع، وتشقي ولا تسعد، وتؤخر ولا تقدم؟ لماذا لا يتطلع الإنسان ولا يرنو ببصره صوب الإيجاب والفأل الحسن، والتفكير فيما هو نافع ومفيد، وينأى بنفسه عن ضيق الأفق وتحجير الواسع؟ الإنسان الذي يريد أن يعيش حاضره بماضيه، وظروف التاريخ، إنما هو صاحب رأي قصير النظر، لا يرى أبعد من أرنبة أنفه، وليس عنده القدرة على التوازن، ولا لديه الموازنات الصحيحة والدقيقة. وهذه النظرة الضيقة تقود المجتمع إلى حالة من الجمود واليأس، وشحن النفوس، وتثقيف العقول الثقافة المسمومة والمعطوبة، وتخلق الكثير من حالات العداء والاستعداء تجاه الآخر، دون أسباب جوهرية وسليمة، أو موجبات حق وصدق.

4 - **التصورات الخاطئة عن الإسلام في الغرب:** لدى الغرب مفاهيم خاطئة عن الإسلام، وتصورات مغلوطة جاءت من مصادر متعددة، منها ما ورد من خلال كتَّاب غير منصفين، ومنها ما جاء من خلال وسائل الإعلام، ومنها ما ربط بتاريخ وماضٍ، ومنها ما هو نتيجة الدعايات المسمومة والمحمومة. وإلا كيف يصور الإسلام أنه دين قد انتصر وانتشر بالسيف، وأنه دين يعشق الدماء؟ كما يصور أن تعدد الزوجات فيه ظلم للمرأة، وإهانة لها ولكرامتها، وأن المرأة لها في الميراث نصف الرجل، وهذا هضم لحقوق المرأة، وكذلك تحريم الإسلام للزنا وشرب الخمور، إذ يعتبر ذلك الغرب تعدياً على الحريات الشخصية، ودكتاتورية تمارس على الفرد، ومصادرة للآراء والسلوك الشخصي. إذ الإنسان حر في أفعاله وتصرفاته وقناعاته.

كما أن في الإسلام الحدود والعقوبات القاسية، كقطع يد السارق والقصاص والرجم، وهذا يتنافى وحقوق الإنسان، وفيه تعد وتجاوز للحدود المسموح بها في مجال المساءلة والعقاب. وها نحن اليوم في خضمّ الإثارة الكبرى لقضية النقاب والخمار والحجاب، وموضوع المآذن، وأنها تشوه الطابع المعماري، وتتعارض وقواعد هندسة المدن على الطريقة الأوروبية. ومنع الإسلام للربا ومحاربته له، والربا هو الفلسفة للاقتصاد الغربي ولنظام الرأسمالية.

وكل ذلك محض افتراء، وعدم فهم صحيح ودقيق للإسلام وروحه، وفلسفة نظامه. ولو أن المجال هنا متاح للرد لكان فيه الغنية والكفاية، وبحثي إنما ينصب على تشخيص المرض لا العلاج، فأنا هنا أقوم بوصف العلة وتشخيصها، دون التعرض لعلاجها واجتثاثها.

وإلا فإن الرد من السهل بمكان، وأقل ما يقال هنا (لكم دينكم ولي دين). بمعنى إذا كان الغرب له حياة ونظام وقانون قعده وقننه واقتنع به، فله ذلك. غير أن للإسلام مبادىء أخرى، وفلسفة حياة متميزة، ونظام مختلف. وها هو الغرب يعود في كثير من قضاياه التي قد تتعارض مع الشريعة الإسلامية إلى حكم الإسلام، فانظر على سبيل المثال إلى قضايا الزواج والطلاق، وموقف الكنيسة المعاصر من هاتين المسألتين، وهناك الربا، وما جرى اليوم للنظام الاقتصادي الغربي خير شاهد، وانظر إلى مسألة الرضاعة الطبيعية من صدر الأم، وكذلك الختان وأهميته بالنسبة للوقاية من مرض الإيدز، وغير ذلك من القضايا والمسائل الكثيرة. فصدق الله العظيم حيث قال: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}(2) وقال سبحانه: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}(3)

وأنا هنا أقول في بعض القضايا كالحجاب أو النقاب أو بناء المآذن، لماذا يقف الغرب من هذه القضايا الموقف المتشنج؟ ويقف منها موقف الرافض والكاره والمحارب لها؟

ويحاول تقنين القوانين ضدها. في حين هي لا تخرج في جوهرها عن روح الديمقراطية التي يتغنى بها الغرب، بل هو يسير على نهجها حقا. إذ لماذا يرضى الغرب أن يترك الحرية للفتاة تلبس ما تشاء من اللباس غير المحتشم أو غير الساتر، ولا يرضى للفتاة المسلمة أن ترتدي الحجاب؟ لماذا يعتبر الغرب ممارسة الفتاة للجنس حرية شخصية؟ ولا يعتبر النقاب -الذي هو جزء من الحضارة العربية والثقافة الإسلامية- حرية شخصية؟ أليس ذلك تناقضاً، ومخالفاً لمبادىء الديمقراطية؟ ألا يعذر البعض في منهجه إذا ذهب في الفهم إلى أن الغرب يتقصد الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، ويقف من الإسلام والمسلمين موقف العداء والخصومة؟

ثم لماذا تحاول بعض دول الغرب أن تسن تشريعات تمنع من خلالها بناء المآذن، والتي هي شعار على بيوت الله في المدنية والعمارة الإسلامية؟ بم يفسر ذلك؟ ألا يفسر هذا بشكل جلي وواضح أنه ضد الإسلام كدين؟ إذ المساجد جزء لا يتجزأ من العبادة في الإسلام.

إن هناك جوانب من السلوكيات في الغرب ضد الإسلام، ليس لها أي تفسير. وإن كان لها تفسير فلا يفهم إلا على الوجه المعادي للإسلام، بلا جريرة ذنب لهذا الدين، وليس له من سبب سوى الخصومة: إما التاريخية قد انتقلت آثارها إلى الحاضر، وإما الجهل بطبيعة هذا الدين. وقديماً قالت العرب: (من جهل شيئاً عاداه).

بعض المواقع والزوايا المجتمعية في الغرب لا تحتاج إلى أسباب كي تقف من الإسلام موقف الخصومة والعداوة. فعداوتها تعصبية نتيجة للخلفية الدينية لدى هذه المواقع أو الفئات. وبالتالي ما ذنب الإسلام حينئذ؟ فالخوف هنا محض وهم. ورب كلمة، ورب موقف، يقول لصاحبه: دعني.

5 - الكره والعداء المسبق للإسلام والتعصب الديني:

مما لا شك ولا ريب، أن هناك عداء مسبقاً للدين الإسلامي في الغرب، وهذا هو الأمر البدهي، والذي لا يحتاج إلى كبير شرح. إذ الغرب يدين بالنصرانية أو المسيحية،

والإسلام دين جاء بعد السيد المسيح عليه السلام، فلم يؤمن به بعض أهل الكتاب من أهل الإنجيل، كما هو الحال مع اليهود في عدم إيمانهم بالسيد المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام. وللمسيحية سلف واسع في هذا، فالكنيسة هي التي لم تسمح بالتعددية في إسبانيا. فاضطهدت المسلمين واليهود على حد سواء، وقد هاجر كلهم أو جلهم إلى بلاد المغرب العربي. وهناك على أرض المغرب وتونس إلى يومنا هذا الكثير من مسلمي الأندلس ويهود الأندلس.

فالبعض من أتباع الدين المسيحي، ولربما البعض من رجال هذا الدين، يناوىء الإسلام الخصومة والعداوة، ومن المحال أن يخلو المجتمع الغربي من هذه الفئة، ولو صغرت أو قلت، فوجودها بهذه العقلية والمنهجية مع الإرث التاريخي، قد يشكل سبباً من أسباب العداء للإسلام، هكذا دونما أسباب حقيقية أو منطقية، موجبة لهذا العداء. وهذا كما حدث من البابا بندكتش السادس عشر، حينما تعرض بالإساءة إلى الإسلام، وأثارت تصريحاته حفائظ المسلمين. وكذلك ما نادت به إحدى الكنائس في ولاية فلوريدا بتاريخ 1 /8 /2010م بحرق القرآن الكريم من خلال القس تيري جونز. فسلوك وتصريحات وفلسفة من هذا النوع تستعدي بلا ريب البعض من الغرب تجاه الإسلام، وتتخذ لأجل ذلك المواقف المسبقة من البعض حيال هذا الدين الحنيف. ومثل هذه المواقف من الكنيسة تجاه الإسلام ليس غريباً، حيث الكنيسة وقعت فيما هو أكثر من ذلك، فقد حاربت الكنيسة الغربية في فترة من الفترات العلم والعلماء، واتهمت العلماء بالكفر، وحكمت على أحدهم بالحرق. وكانت تطارد العلماء شر مطاردة، وتعتبرهم خارجين عن الكنيسة. مما أدى إلى هوة كبيرة ما بين الدين والعلم في أوروبا، واضطرت أوروبا أن تفصل الدين عن السياسة. وتتخذ العلمانية منهجاً لها، نائية بنفسها تماماً عن الدين. حيث اعتبرت الدين سبباً في تخلف الحياة، وتأخر المجتمع؛ لأنه يقف حجر عثرة في طريق التقدم والتطور. وما سبب كل ذلك، وهذه الجفوة، إلا الكنيسة التي لم تسلك مع العلماء سبيلاً سليماً، وطريقاً قويماً وحكيماً. فها هي الكنيسة قد أثارت أو حاولت

إثارة الناس ضد العلماء والعلم. فمن يفعل هذا الفعل فقد يتخذ الموقف نفسه بلا أسباب حقة، أو موجبة تجاه الإسلام.

6 – الإساءة للإسلام، والتهجم عليه، كحال الصور كاريكاتيرية على سبيل المثال لا الحصر، **التي أساءت للرسول الكريم صلوات الله عليه:**

عاش كل من المجتمعين الإسلامي والغربي فترة من الفترات القريبة في حالة من الاحتقان بعض الشيء، وذلك بسبب الإساءات الظالمة لرمز الإسلام ورسوله ونبيه محمد صلوات الله عليه. إذ طلعت علينا بعض الصحف الدنماركية في رسومات كاريكاتيرية فيها إساءة لرسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام. وكان ذلك بلا أسباب، مما أثار مشاعر المسلمين، واعتبروه إساءة لهم ولدينهم، حيث أحدث هذا التصرف المشين حالة من ردة الفعل لدى المسلمين، مما اضطر البعض أن يرد على ذلك بصورة عاطفية، فدعا البعض إلى مقاطعة البضائع الدنماركية، وخرجت مظاهرات في طول البلاد وعرضها تندد بمثل هذه التصرفات والأفعال المقيتة. وهذا مما لا شك فيه يحدث حالة من التأزيم والاحتقان ما بين المجتمعات المسلمة والغرب. وقد يتصرف بعض المسلمين تصرفاً غير حكيم، فيعمم من خلال وسائل الإعلام، ويصور على أن هذا الموقف هو موقف الإسلام والمسلمين، فيساء حينئذ الفهم للإسلام، ويحمل الإسلام ما لم يحتمله ويُقوِّل ما لم يقله، وينعكس ذلك سلباً على هذا الدين الحنيف ظلماً وعدواناً ووهماً بلا أسباب حقيقية، ويكون السبب في كل ذلك من الظلم الذي لحق للإسلام هو ما صنعه بعض الحاقدين أو غير العارفين عن الإسلام المعرفة الحقة.

كما يظهر علينا بين الفينة والفينة بعض كتاب الغرب بالإساءة حتى للقرآن الكريم، كما حصل قبل مدة وجيزة، حيث قال بعض الكتاب بأن القرآن يحض على القتل وسفك الدماء، ويحرض على العنف والشدة، والإسلام دين دموي. وهذا باطل ووهم وهراء، ولكن لربما تجد في المجتمعات الغربية من يسمع لمثل هذه الترهات، فيحمل على الإسلام ويحقد عليه، والإسلام بريء من كل ذلك. فمما لا شك ولا ريب أن خوف

الغرب من الإسلام إنما هو وهم لا أساس له من الصحة.

ومثل هذه الأمور والتصرفات التي تنم عن حقد وجهل، بعيدة في أساسها وخلفيتها عن كل مهنية أو معايير سليمة أو موضوعية وحيادية، مثل هذه الأمور في عصر التطور والتقدم العلمي والتقني والتكنولوجي والصناعي، حيث غدا العالم مدينة أو قرية واحدة، قد تجد المعالجة السليمة، وتنهي الكثير من آثارها، ولكن من الممكن أن يحدث مثلها في تلك المجتمعات الغربية، ولا تسمع بها المجتمعات المسلمة، بحيث لا تجد المتابعة والمعالجة التي أثارها أو تخففها، فيستشري حينئذ الحقد والخوف من الإسلام، دون مبررات حقة. وفي تقديري لو أن العالم إبان محاكم التفتيش في إسبانيا، وطغيان الكنيسة الإفرنجية، وسريان السلوك غير السوي وغير القويم، وسيطرة العنف، واستخدام السطوة والقوة والقتل وسفك الدماء تجاه المسلمين واليهود، في تقديري لو أن ذلك حدث في زماننا لما جرى مثل ما جرى، ولما كانت تلك النهايات المأساوية التي كانت للمسلمين، ولما أخرج المسلمون من إسبانيا على الهيئة والصورة المحزنة، والمقطعة للأكباد، والمذلة في الوقت نفسه.

7 - آثار الموقف السياسي السلبي للغرب من بعض قضايا المسلمين، وعدم انحياز الموقف السياسي الغربي للحق والمظلوم كما الحال في قضية فلسطين والعراق على سبيل المثال:

إن مما يحدث شرخاً ويزيد الهوة ما بين الغرب والإسلام، هو بعض المواقف السياسية السلبية للغرب، وذلك في نظرته وسلوكه تجاه بعض قضايا المسلمين. فحينما لا يقف الغرب الموقف الحق والموضوعي والنزيه من قضايا المسلمين، بل تجده منحازاً ضدهم، ويؤيد مغتصبي الحقوق ضد أصحاب الحق الشرعيين، كما هو الموقف الأمريكي المنحاز كلياً لصالح إسرائيل وبالمطلق، وذلك في المواقف المتعددة كالدعم المالي والعسكري والسياسي والإعلامي، وذلك في شأن ومعالجة موضوع القضية الفلسطينية. وما الاعتداء الصارخ الذي تم ووقع في مدينة نيويورك في ضرب برجي مركز التجارة العالمي من قبل تنظيم القاعدة، أو تأييد تنظيم القاعدة على أقل تعديل لهذه الضربة، ما سبب ذلك إلا

الموقف الأمريكي المنحاز كلياً لإسرائيل.

إذ إن ضرب هذين البرجين، أو تأييده من قبل تنظيم القاعدة إن كان هذا التنظيم بريئاً من تنفيذها، ما هذا الموقف إلا لأن الاحتلال الإسرائيلي كان ممعناً في تقتيل الشعب الفلسطيني، وإزهاق أرواح فلذات أكباده كل يوم، بل كل ساعة ودقيقة، وزج شبابه في السجون بكل طريقة بشعة وظالمة، ونصبه للحواجز العسكرية في طول البلاد وعرضها، لدرجة أن المواطن يموت على الحاجز، ولا يستطيع أن يصل إلى المشفى في المدينة، وما أكثر النساء اللواتي وضعن أو قضين نحبهن على مثل هذه الحواجز القاهرة! ناهيكم عن الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، وإقامة المستوطنات عليها، وتجريف الأراضي الزراعية، وتدمير البيوت والممتلكات، وغير ذلك من أنواع العذابات الكثيرة والمتعددة التي كان -وبالطبع ولا يزال- يمارسها الاحتلال الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني. وتجد في المقابل الانحياز الأمريكي لهذا الظلم، تأييداً لهذا الاحتلال الشرس والدعم المطلق له بالمال والطائرات والسلاح الفتاك بكل أنواعه، والتأييد المطلق له في الأمم المتحدة والإعلام، وكل المواقف السياسية، رغم أنه احتلال مرفوض تأباه كل الأعراف والقوانين الدولية وترفضه، والعالم كله في جهة، وإسرائيل ومعها أمريكا فقط في جهة أخرى. فكانت هناك ردة فعل كبيرة في العالم الإسلامي ضد أمريكا وسياساتها الجائرة والظالمة جداً. فحدث لأمريكا ما حدث، وحصل لهذين البرجين ما حصل. وإلا لماذا لم يحصل مثل هذا الاعتداء على ألمانيا أو إيطاليا أو السويد أو فرنسا أو غيرها من دول أوروبا؟ كما أن هناك الاعتداء السافر والمجحف على العراق الشقيق، إذ جردت أمريكا جيشاً جراراً مجهزاً ومدعوماً بكل أنواع السلاح، وعاثت في بغداد بخاصته وأرض العراق بعامة الفساد. وعن عدد الأرواح التي أزهقت، وتدمير البيئة الاقتصادية، فحدث ولا حرج.

كما وهناك أفغانستان التي جندت أمريكا لها العالم لمقاتلتها، والإطاحة بنظام الحكم فيها، وها هي قد غرقت أفغانستان في بحر من الدماء كما العراق، وأفغانستان في الأصل بلد

فقير متخلف يحتاج إلى مليارات الدولارات لتطويره والنهضة به. فكيف إذا أشغلناه بالحروب وتدمير البنى التحتية لديه، وهو والكثير من مواطنيه لا يملكون رغيف الخبز؟ إذ لم تكتف أمريكا بجيشها الجرار، بل جندت العالم العربي والدولي لحرب أفغانستان والعراق، حتى تأخذ الشرعية الظالمة من العالم. ومعروف أن أمريكا مهيمنة ومسيطرة على العالم. إذ العالم اليوم يحكم بسياسة القطب الواحد، والقوة الواحدة. فمن من دول العالم يقول لأمريكا لا؟ فتستخدم أمريكا نفوذها وسطوتها وقوتها في تجهيز العالم غير المقتنع بسياساتها، كي يقف إلى جانب ظلمها لبعض شعوب العالم الإسلامي. ومما لا شك فيه أن هذه السياسات الغاشمة لن تلقى قبولا لدى الشارع الإسلامي، ولدى الشعوب الإسلامية والدولية.

فماذا ينتظر الغرب، وتحديداً أمريكا من العالم الإسلامي؟ هل يتوقع أن تنتظر أمريكا التأييد من المسلمين على صنيعها وأفعالها تجاههم؟ أم تتوقع أن تلهج ألسنة العالم الإسلامي بالذكر الحسن والطيب لأمريكا؟

وأحداث من هذا النوع ستتلقفها وسائل الإعلام بكل قوة، وكبير تغطية، وتكثر التحليلات والتعليلات والآراء السياسية، فيحدث ضجة مجتمعية كبيرة، وبالتالي سيحدث تخوفاً في أوساط الناس، وسيصور الإعلام هذا إرهاباً، وستتكون عن أصحاب هذا الحدث صورة سوداوية، وسيلصق المجتمع مثل هذا الحدث للدين، وسيحمل النتيجة بلا روية ولا دراسة للإسلام؛ حيث هو هوية ودين من قام بمثل هذه الأعمال. علماً أن الإسلام شيء، وتصرف بعض أهله وأتباعه شيء آخر.

فمما لا شك فيه أن ردة الفعل لتصرفات من هذا القبيل ستدخل المجتمعين في سوء من الفهم، وتآكل في الثقة، وضعف في العلاقة السياسية والاجتماعية. والسبب في ذلك إنما هو التصرفات والتوجهات والمواقف السياسية الخاطئة لدى الغرب، تجاه قضايا الإسلام والمسلمين. فهذه واحدة تضاف إلى أسباب أخر تخلق مثل هذه الأجواء المشحونة، وتتهم الإسلام ظلماً بالإرهاب. والإسلام في حقيقته وواقعه ليس كذلك. بل الإسلام يربي

أتباعه على التسامح والصفح والعفو، يقول الله تبارك وتعالى: {... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}(4)

وقال صلوات الله عليه: (صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ) (5)

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: (... أَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ).(6) والنصوص في ذلك كثيرة وعديدة. كما أن الإسلام ينهى عن العنف والشدة والغلظة في التعامل. قال تعالى: {... وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ...}(7)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَه).(8)

فالعنف في الثقافة الإسلامية سلوك مرفوض ومستقبح، وطارىء مذموم، والأصل في الإسلام اللين والتسامح والرفق والصفح.

ومن هنا فإن العالم الإسلامي من أحسن المجتمعات رحمة، وأكثرها إنسانية وتوداً للآخرين، وقلوب أهله من أصفى القلوب، وأكثرها رقة ومعرفة للرفق. حيث هذه مبادىء الدين الحنيف الذي يفهم من قبل بعضهم خطأ، فيعادى بلا ذنب ولا سبب. ها هو العالم الإسلامي قد استقبل بكل ترحاب الرئيس الأمريكي أوباما، حينما جاء إلى القاهرة، وخاطب العالم الإسلامي بسياسة جديدة، إذ ما كان من هذا العالم إلا تلقيه هذا الخطاب بكل سرور، وتقدير وإعجاب، ورحب بهذه السياسة الجديدة، واستعد كل الاستعداد كي يفتح صفحة جديدة مع أمريكا، وينسى آلام الماضي ومآسيه. لقد لاقى هذا الخطاب استحساناً كبيراً لدى الشارع الإسلامي، ولقي هذا الخطاب ردود إيجابية كثيرة من علماء ومفكري الأمة، بل ومن عامتها، بل نرى قادة الرأي والفكر في الوطن العربي والعالم الإسلامي يعملون تقويماً للخطاب، ما بين الفينة والفينة، ماذا قال أوباما وماذا فعل؟ وإلى أين وصل أوباما سلوكياً في المفاصل المهمة التي أتى عليها في خطابه للعالم الإسلامي؟ وغير ذلك من التساؤلات التقويمية للخطاب. وما ذلك إلا لأن العالم الإسلامي شغوف بتعديل مسار السياسة الأمريكية صوب العدالة المجتمعية والدولية،

وما هذا إلا لأن العالم الإسلامي كله توق لمد جسور التفاهم والمودة مع الغرب، وعلى رأسه أمريكا. ما هذه التقويمات بين الفينة والفينة إلا دلالة حرص على قوة العلاقة ما بين الأمة الإسلامية وأمريكا.

وما هذا الركض من العالم الإسلامي وراء نتائج هذا الخطاب الأمريكي التاريخي إلا لأجل نشر الحب والود، وتثمين العلاقة وتجذيرها من قبل العالم العربي والإسلامي نحو الغرب وخصوصاً أمريكا.

كل ذلك يدل على حسن نوايا الشعوب والمجتمعات المسلمة، ودلالة على فطرهم السليمة، وقلوبهم البيضاء، وتسامحهم الكريم. وإلا بم تفسر كل محاولات النسيان من قبل العالم الإسلامي للجرائم التي تسببت بها أمريكا للأمة الإسلامية والشعوب العربية؟ بالطبع لن تفسر بالسذاجة، وإنما تفسر بطيبة القلب، وحسن النوايا، وسلامة الصدور من كل غل وحقد وضغينة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

(1) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام والأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو. وغيرها: 30 /1357.

(2) النمل: 14.

(3) فصلت: 53.

(4) فصلت: 34.

(5) مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني عن رسول الله.

(6) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معاشرة الناس.

(7) آل عمران: 159.

(8) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق.

المرأة العاملة
ما لها وما عليها

الشيخ / أحمد شوباش - مفتي محافظة نابلس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد؛

فتتراوح قضية عمل المرأة منذ التاريخ البعيد بين الأخذ والرد، والقبول والرفض، ومنذ أزمان غابرة، وفي دول سابقة وأمم ماضية مارست المرأة العمل خارج منزلها بمهن كثيرة، ووقفت المجتمعات أمام هذه القضية بين الدعم والتشجيع، أو بين الرفض والتثبيط.

ومسألة عمل المرأة خارج المنزل مرت عبر العصور السالفة بين مد وجزر، فبينما لم تتعد الخارجات إلى العمل حالات فردية، أصبح اليوم عمل المرأة ظاهرة ملحوظة في مختلف المجتمعات والبلدان، وحققت هذه المسألة نسبة يمكن رصدها في سوق العمل.

ومنذ أن خرجت المرأة للعمل في العصر الحديث بدأ هذا الأمر يشكِّل موضوعاً للخلاف بين الزوجين، ويرسم صورة جديدة للأسرة، ويفرز مجموعة من المشكلات المترتبة على هذا العمل في كثير من الحالات.

والناس من طلبة العلم في هذا الشأن وفي أصل عمل المرأة خارج منزلها طرفان ووسط؛ ففي الوقت الذي يقرر بعضهم أن عمل المرأة حرام، ولا يباح إلا لضرورة أو لحاجة ملحة، فإن آخرين رأوا أن عملها ضرورة لا بد منها، وإذا كان القول الأول يعد تحكماً

بلا دليل يسلم لهم، فإن القول المعاكس يهدد كيان الأسرة ويعرضها للهدم، في حين إني أعتبر الصواب مع من ذهب إلى القول إن عمل المرأة خارج المنزل مباح ولو لم يكن له ضرورة، لكن شريطة التزامها مجموعة من الآداب والضوابط التي لا بد منها.

ويؤيد هذا الرأي أن المرأة داخلة في عموم العمل الصالح الذي يشمل العبادة، والعمل داخل المنزل وخارجه، إن كان بنية صالحة، كما أنها داخلة في عموم { يَا أَيُّهَا النَّاسُ}، و{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ}، ولقد كانت أم سلمة – رضي الله عنها – إذا سمعت (يا أيها الناس) خرجت مسرعة تسمع النداء وما بعده، قائلة: ألست من الناس ؟ ولعل القرآن قد أشار إلى كيان المرأة وإنسانيتها وإيجابيتها قائلاً: {بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ}(1)، وفي الحديث الصحيح: (... إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ)(2)، وقد خرجت نساء النبي ﷺ ونساء الصحابة من غير نكير، مع أن الله قال: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} لعموم النساء، وعلى رأي المحققين من أهل العلم أن الآية لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن المراد {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولى} (3) حسب نص الآية.

ولكن ينبغي أن لا يطغى عمل المرأة خارج المنزل على عملها في البيت؛ أمّاً ومربيةً ومدرسةً وراعيةً، وأن يكون بإذن أبيها، أو زوجها إن كانت متزوجة، وأن يتناسب العمل مع طبيعتها وقدرتها، وأن يكون هناك حاجة للعمل، فحاجتها للعمل كأن تفتقد العائل، أو يكون العائل عاجزاً عن الكسب، وحاجة المجتمع لها في أعمال التطبيب والتعليم للإناث، ونحو ذلك مما يعد ممارستها له خير من أن يمارسه الرجل.

وإذا خرجت للعمل فلا بد من مراعاتها مجموعة من الآداب الشرعية والضوابط الأدبية، بدءاً بالحجاب الشرعي، ومروراً بغض البصر، واجتناب الخلوة، ومزاحمة الرجال، والإغراء، وجدية اللقاء عند الحديث مع الرجال، وأن يكون العمل في أمر حلال مشروع، وانتهاءً بألا تستغل أنوثتها للترويج والتسويق.

ولما كانت الزوجة مطالبة برعاية الأولاد، وهذا واجبها ومسؤوليتها، كما أن العرف،

وبعض العلماء، يلزمونها بالخدمة الباطنة، وعمل البيت، وهذا حال النساء منذ عهد النبي ﷺ، وقضاؤه على علي وفاطمة -رضي الله عنهما- مع أن أكثر العلماء فهموا من ذلك أن العمل داخل المنزل تطوع من المرأة غير لازم، إلا أن زوج المرأة العاملة مدعو للمساهمة في رعاية الأولاد بقدر استطاعته، لأنها لا تقوى على هذا الواجب كاملاً بسبب العمل، كما أنه مدعو للتعاون داخل البيت، خاصة أن الرسول القدوة- عليه الصلاة والسلام- عمل داخل بيته، فكان يخصف نعله؛ أي يخرزها بالمخرز، ويخيط ثوبه، ويخدم نفسه، ويحلب شاته، وعمل الرجل داخل بيته لا يعيب رجولته، ولكن يعبر عن كرم أخلاقه.

وتاريخنا -ومنذ صدر الإسلام- شهد مجموعة من النساء العاملات، ممن عملن في نسج الحصير، ورعاية الغنم والإرضاع، وفي القبالة؛ كأم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وعملن في تجارة العطور، وعلاج آلام العيون، وعملت الشفاء القرشية في تعليم القراءة والكتابة، ثمّ ولاّها عمر بن الخطاب ولاية الحسبة لمنع الغش والاحتكار في الأسواق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشاركت نسوة في العمل العسكري كأم عمارة، وخولة بنت الأزور، وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق تدق النوى، وتحمله على رأسها لخيل زوجها الزبير بن العوام، وكانت أم هارون الرشيد راعية مشروع حفر أكبر نهر في زمانها، وكانت زوج صلاح الدين الأيوبي وراء بناء العديد من المدارس والمشافي.

هذا وجه مشرق في الماضي والحاضر حول قضية عمل المرأة، لكن قد تسبب هذه المسألة في الأسرة سلبيات ورواسب، تظهر في بعض الأسر، وينبغي تجاوزها بعلاج أسبابها، فلا بد أن تنظر المرأة العاملة إلى المال سبباً للحياة الهانئة السعيدة ووسيلة لها، وليس وسيلة للاستعلاء والطغيان وتحدي الزوج، وهذا له حظ في الفقه، إذ يوجب الإمام ابن حزم على الزوجة الموسرة أن تنفق على زوجها المعسر، وكثير من العلماء يكلفونها بالإنفاق على الأسرة على سبيل الاستدانة منها، ولكن إذا طغت العاملة بالمال، فهذا يؤدي إلى

نتيجة لا تحمد عقباها، كما أن العمل قد يؤدي إلى الطلاق، وأسباب ذلك غير مباشرة غالباً، فالخلافات الأسرية، وإطلاع زملاء المرأة العاملة عليها، والاختلاط مع العاملين، تعتبر الدوافع أحياناً إلى عقد المقارنة بينهم وبين الزوج خلقة وكفاءة وشخصية وغير ذلك، والانفتاح على مغريات الحياة، والدخل المستقل لها، كل هذا قد يدفع المرأة إلى طلب الطلاق، في مقابل ما يدفع زوجها إلى طلاقها لغيرته عليها عند العمل في وسط فيه رجال، أو عند إهمالها له ولأولاده وبيتها، بسبب الإرهاق والمشقة من العمل خارج المنزل، مما يؤدي إلى الخلافات المتكررة والمستعصية.

ومما يسهم في الخروج من هذه السلبيات وحل هذه المشكلات الحفاظ على ضوابط عمل المرأة، وأن يكون عملها مشروعاً ومتناسباً مع طبيعتها، وأن يكون وقت عملها يتناسب مع رعايتها لطفل رضيع أو ولد في المدرسة، بتخفيض ساعات عملها، والتأكيد على حقها في الإرضاع الطبيعي وإجازات الولادة والأمومة.

وعلينا أن نعلم أن واجب الإنفاق على الأسرة منوط بعقد الزوجية، إذ إن الزوج ملزم بالإنفاق على زوجته، ولو كانت غنية، أو غير مسلمة، وإذا خرجت إلى العمل بإذن زوجها فلا تسقط نفقتها، ولا تكلف إلا بما يسببه خروجها من المنزل؛ كالثياب الزائدة عن العرف، فيما يطلب من الزوج، أو نفقة حضانة لطفل صغير، إلا أن تتطوع بشيء من نفقات البيت. ومن المعلوم أن للمرأة ذمة مالية مستقلة، ولها كامل الحرية في الشرع بالتصرف في أموالها، كالرجل تماماً، بيعاً وشراءً وعقوداً وزكاةً وصدقةً وتبرعاً ووصيةً، إلى غير ذلك في حدود الشرع الحنيف.

ولكن المرأة إذا خلطت مالها بمال زوجها وأصبح الدخل مشتركاً، سواء من مهنة مشتركة أم راتب أم نحوه، فإن هناك دعوات لاقتسام الثروة عند الطلاق أو الوفاة مناصفة، غير حق الزوجة في ميراثها أو مؤخر صداقها، ولأن هذا الأمر يعد قانونياً في بعض الدول الغربية كأمريكا، فإننا نجد من شن على هذه الدعوات حملة من

الإنكار والرفض والاستغراب والاستبعاد، واعتبارها وسائل غير ناجعة في ترشيد الطلاق -وليس الهدف ترشيد الطلاق فحسب- . إلا انني اطلّعت على تجربة عربية، وأخرى إسلامية، قننت هذه الدعوات وعملت بها، ففي المغرب جاء في مدونة الأسرة أن للمرأة نصف ممتلكات الزوج عند الطلاق أو الوفاة، وقد استقت المدونة هذا الحكم من فقه المالكية في كتاب النوازل السوسية، الذي صرح بأن للمرأة في مسألة الكدّ والسعاية، أو ما يسمى (حق الشقا) نصف الممتلكات، والسعاية: المستفاد من المال بالعمل والتنمية به، عملاً بقوله تعالى: {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}(4). والسعي: العمل، وبما روي عن عمر بن الخطاب في قضائه بين زوجة عمر بن الحارث حبيبة بنت رزق، عمة عبد الله بن الأرقم، وورثة زوجها لما مات، وكانت حبيبة نساجة طرازة، وكان زوجها تاجراً يعمل بما تنتجه وتصلحه، حتى اكتسبوا أموالاً، فمات زوجها، وترك أموالاً وعقاراً، وأخذ أولياؤه مفاتيح الخزائن، فنازعتهم، فتخاصموا إلى عمر، فقضى لها بنصف المال، وبالإرث في الباقي.

وفي القانون الماليزي؛ فإن المال المشترك، وهو المتحصل خلال الزواج بالتعاون بين الزوجين؛ كالبيت والسيارة مثلاً، فإنه يحكم للمرأة عند الطلاق أو الوفاة بنصف الأملاك، ويبقى النزاع في طلب الزوجة بعض أملاك الزوج مقابل أمومتها وخدمة المنزل، وهنا في تصوري ليس لها شيء مما تطالب به مقابل عمل البيت.

الهوامش:

1. آل عمران: 195.
2. سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه.
3. الأحزاب: 33.
4. النجم: 39.

علاقات أسرية

جابر والجمل

أ. هيا القاسم / دار الإفتاء الفلسطينية

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ مِنْ نَخْلٍ، عَلَى جَمَلٍ لِي ضَعِيفٍ؛ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: جَعَلَتْ الرِّفَاقُ تَمْضِي، وَجَعَلْتُ أَتَخَلَّفُ، حَتَّى أَدْرَكَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا جَابِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْطَأَ بِي جَمَلِي هَذَا، قَالَ: أَنِخْهُ؛ قَالَ: فَأَنَخْتُهُ، وَأَنَاخَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ: أَعْطِنِي هَذِهِ الْعَصَا مِنْ يَدِكَ، أَوْ اقْطَعْ لِي عَصًا مِنْ شَجَرَةٍ؛ قَالَ: فَفَعَلْتُ. قَالَ: فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَنَخَسَهُ بِهَا نَخَسَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: ارْكَبْ، فَرَكِبْتُ، فَخَرَجَ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، يُوَاهِقُ نَاقَتَهُ مُوَاهَقَةً(1). قَالَ: وَتَحَدَّثْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لِي: أَتَبِيعُنِي جَمَلَكَ هَذَا يَا جَابِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ أَهَبُهُ لَكَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ بِعْنِيهِ؛ قَالَ: قُلْتُ: فَسُمْنِيهِ(2) يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِدِرْهَمٍ، قَالَ: قُلْتُ: لَا. إِذَنْ، تَغْبِنُنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَبِدِرْهَمَيْنِ؛ قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي ثَمَنِهِ حَتَّى بَلَغَ الْأُوقِيَّةَ. قَالَ: فَقُلْتُ: أَفَقَدْ رَضِيتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهُوَ لَكَ؛ قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ.

قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَا جَابِرُ، هَلْ تَزَوَّجْتَ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَثَيِّباً أَمْ بِكْراً؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، بَلْ ثَيِّباً؛ قَالَ: أَفَلَا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟! قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ بَنَاتٍ لَهُ سَبْعاً، فَنَكَحْتُ امْرَأَةً جَامِعَةً، تَجْمَعُ رُءُوسَهُنَّ، وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: أَصَبْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَمَا إِنَّا لَوْ قَدْ جِئْنَا صِرَاراً(3) أَمَرْنَا بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا يَوْمَنَا ذَاكَ، وَسَمِعَتْ بِنَا، فَنَفَضَتْ نَمَارِقَهَا(4) قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ نَمَارِقَ؛ قَالَ: إِنَّهَا سَتَكُونُ، فَإِذَا أَنْتَ قَدِمْتُ فَاعْمَلْ عَمَلاً كَيِّساً(5) قَالَ: فَلَمَّا جِئْنَا صِرَاراً أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِجَزُورٍ فَنُحِرَتْ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؛ فَلَمَّا أَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ وَدَخَلْنَا، قَالَ: فَحَدَّثْتُ الْمَرْأَةَ الْحَدِيثَ، وَمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: فَدُونَكَ، فَسَمْعٌ وَطَاعَةٌ. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخَذْتُ بِرَأْسِ الْجَمَلِ، فَأَقْبَلْتُ بِهِ حَتَّى أَنَخْتُهُ عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: ثُمَّ جَلَسْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَرِيبًا مِنْهُ؛ قَالَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَى الْجَمَلَ؛ فَقَالَ: مَا هَذَا ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا جَمَلٌ جَاءَ بِهِ جَابِرٌ؛ قَالَ: فَأَيْنَ جَابِرٌ ؟ قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ؛ قَالَ: فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي خُذْ بِرَأْسِ جَمَلِكَ، فَهُوَ لَكَ، وَدَعَا بِلَالاً، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ بِجَابِرٍ، فَأَعْطِهِ أُوقِيَّةً. قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ، فَأَعْطَانِي أُوقِيَّةً، وَزَادَنِي شَيْئاً يَسِيراً. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَنْمِي عِنْدِي(6)، وَيَرَى مَكَانَهُ مِنْ بَيْتِنَا، حَتَّى أُصِيبَ أَمْسِ فِيمَا أُصِيبَ لَنَا يَعْنِي يَوْمَ الْحَرَّةِ(7))(8)، وفي رواية أخرى ثانية، عَنْ جَابِرٍ .. قَالَ: (فَلَمَّا قَدِمْنَا، ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، فَقَالَ: أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلاً، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ، قَالَ: وَحَدَّثَنِي الثِّقَةُ أَنَّهُ قَالَ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا جَابِرُ يَعْنِي الْوَلَدَ)(9)، وفي رواية أخرى(عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَتَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: بِكْراً أَمْ ثَيِّباً؟

قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّباً، قَالَ: فَهَلَّا بِكْراً تُلَاعِبُكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّ لِي أَخَوَاتٌ، فَخَشِيتُ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُنَّ، قَالَ: فَذَاكَ إِذًا، إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ عَلَى دِينِهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ)(10)، وعَنْه قال: (قُلْتُ لَهُ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَلَكَ وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ أَوْ سَبْعَ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آتِيَهُنَّ أَوْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ وَتُصْلِحُهُنَّ، قَالَ: فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْ قَالَ: لِي خَيْرًا)(11).

إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يضرب لنا أعظم المثل في حسن التعامل مع الشباب والرفق بهم ومواساتهم، فهو يلاحظ فقر جابر، فيسأله أن يبيعه جمله، إلا أن جابر يرغب في أن يهبه لرسول الله، لكن نبي الله يأبى إلا أن يشتريه، وتبدأ المساومة بينهما كما تحدث بين أي تاجر وزبون، إلى أن تصل إلى أوقية يتخللها مداعبة جابر حين قال له: (لا، إذن تغبنني يا رسول الله)، ثم يسأله نبي الله عن وضعه الاجتماعي، فهو يعلم أن له سبع أو تسع أخوات، ووالده استشهد في أُحد، فيسأله هل تزوجت أم لا، فيخبره جابر بأنه تزوج امرأة ثيب، أي سبق لها الزواج، فينكر عليه ذلك، ويحببه في الزواج من البكر ليلاعبها وتلاعبه، تمرح معه ويمرح معها، ويضحك معها، ففي البكر روح الدعابة أكثر من الثيب، وهذا أول سلوك يتعلمه جابر، وهو ملاعبة الزوجة وإسعادها، لكن جابر يرد عليه أنه أراد زوجة ترعى أخواته وتصلح شؤونهن، لا يريد بكراً كأخواته تحتاج إلى من يدللها، فهو يريد من تخفف عنه بعض مسؤولياته، وهنا يؤثر جابر أخواته على نفسه، وهذا يشير إلى فضله، وحسن خلقه وتضحيته لأجل أخواته، وحكمته في اختيار الزوجة المناسبة لذلك، ونبي الله يتفهم مشكلته، ويثني عليه، ويدعو له، ودعم ذلك بقوله بأن المرأة تنكح لجمالها، أو مالها، أو دينها، فعليه أن يظفر بذات الدين، وهذا ما حظي به جابر.

نبي الله يقول لجابر: سننزل في منطقة قريبة من المدينة، حتى تعلم زوجتك بقدومنا، فتنظف البيت، وترتب الوسائد، فيرد جابر بتحسر: والله لا يوجد لدينا مثل هذه الوسائد، وهذا يدل على مدى فقر جابر، فيسري عنه رسول الله قائلاً: (إنها ستكون)، ستكون بإرادة الله، ستكون لأنه ما بعد العسر إلا اليسر، ستكون لأن الله قد جعل لكل شي قدراً، ستكون لأن نبي الله كان يخطط أن يحسن وضع جابر المادي، وحينما يصلون المدينة يأمر النبي أصحابه أن يتمهلوا، ولا يدخلوا بيوتهم إلى الليل، حتى يكون هناك وقت للمرأة أن تنظف نفسها، وتتجمل لزوجها، فهو يدرك طبيعة المرأة ومشاعرها، وحتى لا يرى الزوج من امرأته ما ينفره منها، وهو بذلك يعلم جابر حسن السلوك مع زوجته، فهذا ثاني سلوك يتعلمه جابر، وهو التمهل في الدخول على زوجته حتى تهيء نفسها لاستقباله.

أما السلوك الثالث؛ فيطلب منه أن يدخل على امرأته ليطفئ نار الشوق بينهما بعد غيابه عنها، فقد ذكر رسول الله ثلاثة من الأمور التي تديم العشرة والمحبة بين الزوجين، يصلون إلى المدينة ويدخلون على زوجاتهم مساء، ويحدث جابر زوجته بحديثه مع محمد صلى الله عليه وسلم، ويبيت معها حتى الصباح، ثم يذهب بجمله إلى المسجد ليعطيه لرسول الله مقابل الثمن الذي اتفق عليه مع نبي الله، لكن نبي الله يأمر بلالاً أن يعطيه أكثر من أوقية، ويهب له الجمل هدية له، بقوله بتودد: (يا ابن أخي).

نستخلص من قصة جابر السلوك الذي نتخذه في التعامل مع الشاب، ومع الزوجة، ومع البنات، فهي قصة تلقي الضوء على كل أفراد الأسرة، وتتجلى رحمة نبي الله في كل الأحوال ومع جميع الناس، فهو يتفقد حال جابر من جميع النواحي النفسية، والمادية، والاجتماعية، ويعلمه، ويرشده إلى حسن تدبير أموره، ويرفع من مستواه المادي ليرعى أخواته التسع، ويرفع من معنوياته بعد وفاة والده، فلا بد من أصحاب القدرة والمال

أن يعملوا على رفع مستوى شبابنا المادي والمعنوي في أيامنا هذه، لإنقاذهم من حالة الإحباط واليأس التي يعيشون فيها، ودعمهم في تيسير الزواج عليهم، وفي الحصول على عمل يفرغون فيه طاقاتهم وقدراتهم، ونتعلم من هذا الصحابي الصبر والرضا والقناعة والتضحية من أجل بناتنا وأخواتنا، ونتعلم منه العمل بوصية الأبوين؛ فقد عمل بوصية والده بعد وفاته في رعاية أخواته.

الهوامش:

1 - أي يسابقها ويعارضها في المشي لسرعته.

2 - من السوم، وهو هنا أن يعرض المشتري ثمنًا لما يريد شراءه.

3 - موضع على ثلاثة أميال من المدينة.

4 - النمارق جمع نمرقة وهي: الوسادة الصغيرة.

5 - أصل الكيس العقل، ولكن ذهب جمع من أهل العلم إلى أن المقصود بالعمل الكيس هنا الجماع.

6 - أي أن هذا الشيء اليسير الذي زاده إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل عنده حتى فقده يوم الحرة.

7 - وقعة الحرة ..

8 - مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند جابر بن عبد الله.

9 - صحيح البخاري، كتاب النكاح ، باب طلب الولد.

10 - سنن النسائي، كتاب النكاح، باب عَلَى مَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ.

11 - صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر.

اللسان في الميزان

الشيخ / جميل جمعة - مفتي محافظة سلفيت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن ولاه، وبعد؛

فقال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(1).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي طَالِبٍ: (يَا عَمِّ؛ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)(2).

إن أعظم البلاء على الإنسان في الدنيا هو لسانه؛ إذا أطلقه بالكلام دون أن يتبين معنى ما ينطق به.

إن لكل داء دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله، وبفضل الله فإن علاج اللسان وآفاته معلومة لدى كل البشر، أو أكثرهم، ولكن، وللأسف، فإن العليل هو من يأخذ ذلك العلاج، ويستعمل ذلك الدواء.

إن ملاك الخير كله هو اللسان، أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الطويل، حيث قال: (... أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ...)(3).

وقال عليه الصلاة والسلام: (إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الْأَعْضَاءَ، كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ(4)،

فَتَقُولُ: اتَّقِ اللَّهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا)(5).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)(6).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (والذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان).

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم صحابته -رضوان الله عليهم- من أن يأتي أحدهم يوم القيامة، وهو مفلس من الحسنات، وعندها تكون الكارثة الكبرى، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)(7).

وكما قال الشاعر:

إنـا لنفرحُ بالأيـام نقطعـها ... وكلُّ يوم مضى يدني من الأجل

فاعملْ لنفسك قبل الموت مجتهداً ... فإنما الربح والخسران في العمل

وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)(8).

واعلم أيها الإنسان، إن حفظ اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة، كما قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ)(9)،

كما أنه من أعظم أسباب دخول النار كذلك .

إن اللسان نعمة عظيمة من نعم الله تعالى على الإنسان إذ به يُعبد الله وحده لا شريك له، وبه يتم التخاطب بين جميع أفراد النوع الإنساني، وبه ينطق المؤمن بالشهادتين، ويؤدي الصلاة، ونحو ذلك من سائر الواجبات والفروض والسنن، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشهادة الحق، ونشر العلم، والذكر المستحب، وبالمقابل فإن إطلاق العنان للِّسان يوقع في العصيان، مثل الكذب والغيبة والنميمة والنفاق، والفحش والخوض في الباطل، وإيذاء الخلق، وهتك العورات.

وحفظ اللسان، وطيب الكلام هو من سمات عباد الرحمن، كما في قوله تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً}(10).

فينبغي للعاقل أن ينظر في شأنه، ويحفظ فرجه ولسانه، قال بعض الحكماء: إن جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء، فجزء منها قلبه، والثاني لسانه، والثالث جوارحه، وقد أكرم الله تعالى كل جزء بكرامة، فأكرم القلب بمعرفته وتوحيده، وأكرم اللسان بشهادة أن لا إله إلا الله وتلاوة كتابه، وأكرم الجوارح بالصلاة والصوم وسائر الطاعات.

وروي عن سفيان الثوري –رضي الله عنه– أنه قال: (لأن أرمي رجلاً بسهم أحب إلي من أن أرميه بلساني، لأن رمي اللسان لا يخطئ، ورمي السهم قد يخطئ).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل غضب، واحمر وجهه، وانتفخت أوداجه: (إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ)(11).

وكان من صفاته عليه الصلاة والسلام أنه (طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ)(12).

وقال عليه الصلاة والسلام: (لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ

حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلَا يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ)(13).

قال تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}(14).

ومن الظواهر السلوكية السيئة التي تفشت في المجتمعات الإسلامية ظاهرة استخدام الألفاظ البذيئة أثناء الحديث، ولو في المزاح، وكذلك ظاهرتا السب واللعن، وهذه الظواهر ليست من السلوكيات الإسلامية في شيء، بل هي طبائع السفهاء من الناس، وقد تعددت النصوص الشرعية التي تنهى عنها وتحرمها.

قال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ)(15).

والبذاءة هي التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، والسباب هو الشتم، والتكلم في الآخرين بما يعيب، كقول إنسان لآخر يا حقير، أو يا وقح، ونحو ذلك، وأما اللعن فهو الطرد والإبعاد من رحمة الله، والصورة العرفية لهذه الظاهرة هي أن يقول إنسان لآخر لعنة الله عليك، أو يا ملعون، أو هو ملعون، ونحو ذلك. فهذه من الأمور التي نهى عنها الشارع الحكيم وشدد في حرمتها.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنَّك إنه ثعبان

كم في المقابر من لديغ لسانه ... بطل تهاب لقاءه الشجعان

ومن آفات اللسان الكذب في الشهادة، عن أبي بكرة، قال: قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ؛ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ

الزُّورِ ثَلَاثًا، أَوْ قَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ)(16).

كما قال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ) (17).

ومن آفات اللسان أيضاً الكذب في الحديث والوعد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)(18).

ومن آفات اللسان الكذب في المزاح، قال عليه الصلاة والسلام: (وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ) (19).

وكذلك من آفات اللسان الكذب على الأطفال، حيث حذر عليه الصلاة والسلام من الكذب على الأطفال بشكل عام، والأبناء بشكل خاص، لما في هذا من الأثر الكبير في تربيتهم وتنشأتهم على الكذب.

فعن عبد الله بن عامر قال: (دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟ قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ) (20).

وكما قال الشاعر:

متى تطبقْ على شفتيك تسلمْ ... وإن تفتحهما فقلِ الصَّوابا

فما أحـــدٌ يطيلُ الصمتَ إلا ... سيأمنُ أن يُذم وأن يُعــابا

اللهم إنا نسألك أن تحفظ ألسنتنا وأبصارنا وأسماعنا عن الحرام، وأن تغفر لنا ولوالدينا وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش:

1. فصلت:33.
2. صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله.
3. سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة.
4. بمعنى: تذل له وتخضع.
5. سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حفظ اللسان.
6. مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، باب لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه.
7. صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.
8. صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار.
9. صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان وقول النبي من كان يؤمن بالله...
10. الفرقان:63.
11. صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده.
12. مسند أحمد، أول مسند البصريين، حديث جابر بن سمرة.
13. مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك.
14. ق:17 - 18.
15. مسند أحمد، مسند المكثرين عن رسول الله، مسند عبد الله بن مسعود.
16. صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة.
17. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق المسلم بيمن فاجرة بالنار.
18. مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة.
19. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب.
20. سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب.

الكلام والصمت

أ. كمال بواطنه
وزارة التربية والتعليم العالي - رام الله

يرى بعض الأئمة أنّ جماع آداب الخير، وأزمّته تتفرّع من أربعة أحاديث، منها قوله صلى الله عليه وسلّم: (... مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ)(1)، وهذا الحديث من جوامع كلمه صلّى الله عليه وسلّم، ويبيّن فيه أنّ من دلائل الإيمان بالله واليوم الآخر أن يحفظ المؤمن ما بين فكيه، فلا يطلق لسانه إلا أن يقول خيراً، وإلا فالصمت أولى وأوجب.

من الخير أن نعرف أنّ اللسان، هذه الجارحة التي لا تفتأ تدور في الفم بلا ملل، هو كالسيف يحمله المجاهد في سبيل الله، ويحمله قاطع الطريق، ففيه النجاة، وفيه الهلكة، فقد تخرج منه كلمة من رضا الله، فترقى بصاحبها، الذي لم يكن يتصوّر أن تبلغ به ما بلغت، إلى عالي الدرجات، وبالمقابل قد تخرج منه كلمة من سخط الله تهوي به في سحيق الدركات.

نحن في واقع حياتنا نستهين بما تنطق به ألسنتنا، فترانا نفتح لها الحاجزين: الحجريّ، المتمثّل في الأسنان، واللحميّ، المتمثّل في الشفتين، وكأنّنا لم نسمع بالردّ الحاسم الحازم

من النبيّ- صلى الله عليه وسلّم-(ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ؟ وفي رواية: "عَلَى مَنَاخِرِهِمْ" إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟!)(2) لمّا تساءل معاذ بن جبل-رضي الله عنه- متعجباً: أو إنّا مؤاخذون بما نتكلّم؟!، وقد أحسن الشاعر لمّا قال:

احذر لسانك أيّها الإنسان لا يلدغنّك إنّه ثعبان

كم في المقابر من لديغ لسانه بطل تهاب لقاءه الشجعان

فصلاح الإنسان في حفظ اللسان، وقد قيل: (ضرب السنان ولا زلّة اللسان)، ولنا أن نتساءل: هل يصمت الإنسان البتّة إذا أراد سبيل السلامة؟ وبخاصّة أن من يقرأ في تراثنا يجد حشداً من الأقوال والأشعار التي تمتدح الصمت، وترغّب فيه، من ذلك قولهم: (إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب)، ومن مثل ذلك قول أبي نواس:

خلِّ جنبيك للهوام وامض عنه بسلام

متْ بداء الصمتِ خيرٌ لك من داء الكلام

ومن ذلك قول القحطانيّ في نونيته المشهورة:

زيّن زمانك بالسكوت فإنّه زين الحليم وسترة الحيران

ولكنّ السؤال الآخر: هل تتحقّق مصالح الناس إذا ما عاشوا خُرساً؟ واقع الحال أنّ نعمة البيان نعمة عظيمة امتنّ بها المولى-سبحانه وتعالى- على الإنسان {الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}(3)، وعلى هذا فليس من المعقول أن يعطّل الإنسان هذه النعمة، والكلام أمر لا بدّ منه، ومن أفضل ما قيل في تفضيل المنطق على الصمت: (إنّما بعثت الأنبياء متكلّمين، ولم يبعثوا صامتين، وبالكلام وصف فضل الصمت، ولم يوصف القول بالصمت، وبالكلام يؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر...

والعلم كلّه لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلا اللسان، فنفع المنطق عامّ لقائله وسامعه، ونفع الصمت خاصّ لفاعله)، ولعلّ أعدل ما قيل في الصمت والمنطق (الكلام إلى الخير كلّه أفضل من الصمت، والصمت في الشرّ كلّه أفضل من الكلام)، وقد فطن إلى هذا التوازن عبد الله بن المبارك- رحمه الله- لمّا قال في رثاء مالك بن أنس رحمه الله:

صموت إذا ما الصمت زين أهله وفتّاق أبكار الكلام المختم

إنّ كثيراً من المواقف تتطلّب من الإنسان أن يتكلّم، وقد يكون الصمت جريمة، إذا كان من ورائه ضياع الحقوق، أو إقرار للمنكر... وفي الحديث المشهور في سبل تغيير المنكر يقول- صلى الله عليه وسلّم-: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)(4)، ما يدلّ على أنّ اللسان جاء مقدّماً على الصمت المشار إليه في(فبقلبه)، ثمّ أعقبه بالقول: (وذلك أضعف الإيمان)، ولهذا قال الفاروق- رضي الله عنه-: (ترك الحكمة غفلة)، وقال بكر بن عبد الله المزنيّ: (الصمت نوم والكلام يقظة)، وقالوا: (المرء مخبوء تحت لسانه).

لعلّ من الخير أن نفرّق بين أمرين؛ البيان في حينه، والثرثرة التي لا نفع فيها؛ ذلك أنّ كثيراً من الناس يطلقون ألسنتهم بكلام السكوت عنه أفضل، وقد جاءت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبويّة تحذّر من كلام الفحش، وكلام اللغو، فقال-عزّ شأنه : {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ}(5)، وقال- جلّ جلاله-: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}(6)، ونهى النبيّ- صلى الله عليه وسلّم- في صورة لا غبش فيها عن الثرثرة، وأبان في هديه (... وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ، مَسَاوِيكُمْ أَخْلَاقاً، الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ)(7)، فالثرثرة، وهي الكلام الفارغ الذي لا

خير فيه، الصمت خير منه، ورحم الشافعيّ القائل:

لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيونه

والصـمت أجمل للفتى من منطق في غير حينه

وقد وجدنا أهل الحكمة يمتدحون قلّة الكلام، وينهون عن الإكثار منه؛ لأنّ الأمر كما قال الفاروق -رضي الله عنه- ناصحاً الأحنف بن قيس: (من كثر كلامه كثر سقطه)، وجميل قول الشاعر:

عوّد لسـانك قلّة اللفظ واحفظ كلامك أيّما حفظ

إياك أن تعظ الرجال وقد أصبحت محتاجاً إلى الوعظ

وممّا ينسب لعليّ رضي الله عنه:

إنّ القليل من الـكلام بأهله حسن وإنّ كثيره ممقـوت

ما زلّ ذو صمت وما من مكثر إلا يزلّ وما يعاب صموت

إن كان ينطق ناطـق من فضّة فالصمت درٌّ زانه الياقوت

فعلى العاقل والحالة هذه، أن يعوّد لسانه قلة الكلام، وأن يسمع أكثر ممّا يتكلّم، وقد أجاد صفيّ الدين الحلّي لمّا عبر عن هذا المعنى شعراً:

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلاً بنطقك قبلما تتفهّم

لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً إلا لتسمع ضعف ما تتكلّم

فما أحسن أن يقلّل المرء من الكلام، وكما قال (برونو): (كلّما قلّلت من الكلام ازداد الإصغاء إليك)، أمّا بضاعة الثرثار فهي مبغوضة، وإذا قال المثل الإنجليزي: (يكثر الثرثارون؛ لأنّ الكلام رخيص)، فإنّني أقول: الكلام صفة المتكلّم، والكلام الرخيص

يصدر من رخيص، فواجب المرء أن يزن كلامه؛ فالكلمة كالرصاصة متى خرجت فلن تعود إلى بيت النار، فإذا قتلت ظالماً فقد نفعت، وإذا قتلت مظلوماً فقد أفسدت، وإذا أحدثت دويّاً، ولم تصب أحداً فقد أزعجت، فرحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سكت عن شرّ فسلم، ورحم الله العلامة المجدّد ابن دقيق العيد، الذي قال عن نفسه: (ما تكلّمت كلمة، ولا فعلت فعلاً، إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عزّ وجلّ).

لغة الأرقام تتحدّث اليوم أنّ الرجل يتكلّم في المتوسط ثمانية آلاف كلمة في اليوم، في حين أنّ المرأة تتجاوز هذا الرقم بعشرة آلاف كلمة؛ أيْ ثمانية عشر ألف كلمة، فهل أعدّ أحدنا جواباً لكلّ ما يقول ويفعل؟ هذا هو المرتجى والمأمول. وجميل بالعاقل إذا اجتمع إلى حكيم أن ينصت إليه، وإذا اجتمع إلى عاقل أن يتحدّث معه، وإذا اجتمع إلى سخيف ثرثار أن يقوم من عنده.

الهوامش:

1. صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.
2. سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة.
3. الرحمن: 1 – 4.
4. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان...
5. النساء:148.
6. البقرة:83.
7. مسند أحمد، مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ، حديث أبي ثعلبة الخشني.

من أخبار ونشاطات مكتب المفتي العام ومراكز دار الإفتاء الفلسطينية

إعداد: الأستاذ مصطفى أعرج / نائب المدير العام لمديرية العلاقات العامة والإعلام

المفتي العام يؤكد على أهمية مقاطعة منتوجات المستوطنات

القدس: بدعوة من محافظ القدس المهندس عدنان الحسيني شارك سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/خطيب المسجد الأقصى المبارك- في المؤتمر الصحفي الذي عقد أمام مقر محافظة القدس في ضاحية البريد بالرام، وذلك للإعلان عن خلو محافظة القدس من منتوجات المستوطنات، وقد أكد سماحته على أهمية المقاطعة، وعدم التعامل مع المستوطنات، وبين أن مقاطعة منتوجات المستوطنات واجب ديني ووطني، واعتبر أن مبادرة مؤسسات المجتمع المدني إلى مقاطعة المستوطنات هي رفض واضح للاحتلال وعدم تكريسه، وقد شارك في هذا المؤتمر محافظ القدس المهندس عدنان الحسيني، ونائب المحافظ عبد الله صيام، وعدد من الشخصيات الوطنية والرسمية والشعبية.

المفتي العام يؤدي صلاة الجمعة في خيمة النواب في مقر الصليب الأحمر بالقدس

القدس: ألقى سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك – خطبة الجمعة في خيمة اعتصام النواب المقدسيين المهددين بالإبعاد عن القدس، في مقر الصليب الأحمر بالقدس، حيث أكد سماحته على ضرورة الوحدة ورص الصفوف لمواجهة الأخطار المحدقة بالشعب الفلسطيني ومقدساته، كما دعا إلى زيارة أسر الأسرى والشهداء، وذلك مع قرب حلول عيد الأضحى المبارك، لما في ذلك من تخفيف ومواساة لهذه العائلات، التي قدمت الغالي والنفيس لشعبها الفلسطيني، وقضيته العادلة.

المفتي العام وشخصيات وطنية يزورون أضرحة الشهداء وخيم الاعتصام بالقدس

القدس: ضمن وفد من الشخصيات القيادية والوطنية الرسمية والشعبية، زار سماحة الشيخ محمد حسين المفتي – العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك – أضرحة الشهداء، وخيم الاعتصام في القدس المحتلة، حيث زار الوفد ضريح أمير شهداء القدس الشهيد فيصل الحسيني/ عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، ووضعوا أكاليل

من الزهور على الضريح، ثم قام الوفد بزيارة لمقام الجندي المجهول بالقرب من أسوار القدس القديمة، وزار كذلك خيمة الاعتصام في مقر الصليب الأحمر بالقدس، وأصحاب البيوت التي تم الاستيلاء عليها من قبل المستوطنين في حي الشيخ جراح، والتي تعود ملكيتها لعائلات الكرد والغاوي وحنون.

وأشاد سماحته بصمود أهل القدس وترابطهم وتماسكهم وتضامنهم، سائلاً الله العلي القدير أن يحتفل شعبنا وأمتنا بتحرير أرضنا وشعبنا من ظلم الاحتلال، وأن ينعم عليهم بالحرية والاستقلال.

المفتي العام ومفكرون من القدس يدينون الهجمات التي تستهدف مسيحيي العراق

القدس: أدان سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك - وعدد من مفكري القدس الهجمات التي تستهدف مسيحيي العراق، جاء ذلك خلال اجتماع دعا إليه ملتقى الفكر العربي بالقدس، وذلك رداً على الاعتداءات التي تعرض لها بعض المواطنين العراقيين المسيحيين وكنائسهم في الفترة الأخيرة، وأكد سماحته على الثوابت الدينية الخاصة بضرورة المحافظة على أهل الذمة،

وضرورة تأمين حرية المعتقد والحياة والعمل، واستذكر سماحته بذلك وثيقة المدينة المنورة في عهد النبي ﷺ، وكذلك العهدة العمرية التي أرست أفضل القواعد للعلاقة الإسلامية المسيحية، مؤكداً براءة الإسلام والمسلمين من المسؤولية عن التفجيرات في العراق والتي تستهدف المسلمين والمسيحيين الآمنين، في إطار من الفتن والتطهير العرقي، وقد صدر عن الملتقى بيان أدان التفجيرات ضد الكنائس في العراق.

المفتي العام يفتتح معرض رسومات في القدس

القدس: افتتح سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك - معرضاً لرسومات طلاب مدارس القدس، الذين شاركوا في مسابقة رسم بعنوان: (كيف تحب أن ترى القدس)، ضمن فعاليات سوق عكاظ السادس والعشرين، الذي تنظمه جمعية الرازي للثقافة والمجتمع، بالتعاون مع دائرة تنمية الشباب في جمعية الدراسات العربية، في إطار مشروع تنمية الشباب، وذلك في مقر نادي القدس.

وقد أثنى سماحته على الطلاب المشاركين في المعرض، مبدياً إعجابه بالرسومات التي تركزت جميعها على القدس، وشكر سماحته الجمعية والقائمين على هذا المعرض، وبين أن

مثل هذه الاهتمامات الفنية دليل واضح على حب الفلسطيني للقدس، الذي يعبر عنه في مختلف نشاطاته وظروفه ومنابره.

المفتي العام يشارك في المؤتمر الإسلامي المسيحي الدولي في بيت لحم

بيت لحم: شارك سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ عضو مجلس رؤساء الهيئة الإسلامية المسيحية- في المؤتمر الإسلامي المسيحي الدولي الأول الذي أقامته الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات في بيت لحم، تحت رعاية سيادة الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، حيث أكد سماحته في كلمته على أن هذا المؤتمر ينعقد في ظل استباحة سلطات الاحتلال للأراضي الفلسطينية، وعلى رأسها مدينة القدس معقل الديانات السماوية، وبوابة الأرض إلى السماء، رفعة سيدنا عيسى عليه السلام، ومعراج سيدنا محمد ﷺ، كما أكد أن العبء على القيادات الدينية في هذه البلاد عبء كبير، يحتاج إلى جهود كبيرة، وهمة عالية من أجل مواجهة الظروف الصعبة والتوجهات العنصرية، والعمل على تحقيق السلام، مؤكداً على حق الشعب الفلسطيني في الحرية وتقرير المصير.

المفتي يلتقي السفير المصري ويبحث آخر التطورات

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين- المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك- في مكتبه سفير جمهورية مصر لدى السلطة الفلسطينية السيد ياسر عثمان. حيث تناول اللقاء آخر المستجدات على الساحة الفلسطينية، وبخاصة الانتهاكات المتكررة ضد المقدسات الإسلامية، وعلى رأسها المسجد الأقصى.

وحذر سماحته، من مخططات التهويد التي يجري الإعداد لتنفيذها من قبل سلطات الاحتلال ومستوطنيها، غير آبهة بانتهاك القوانين والأعراف التي أقرتها المواثيق الدولية الخاصة بالأراضي المحتلة.

وخلال اللقاء نوَّه سماحته، بالقيادة المصرية وشعبها لما يبذلونه من جهود، للمساهمة في تحقيق المصالحة الفلسطينية ودعم القضية الفلسطينية.

من جانبه شدد السفير عثمان، على ترابط العلاقات الأخوية بين الشعبين المصري والفلسطيني، وسلم عثمان سماحته، دعوة للمشاركة في (المؤتمر العام الثالث والعشرين للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية)، الذي يعقد سنوياً في القاهرة، تحت رعاية الرئيس المصري محمد حسني مبارك، والذي تقيمه وزارة الأوقاف المصرية، وعنوانه لهذا العام (القدس ومكانتها في الدين والتاريخ).

خلال استقباله ممثل الاتحاد الأوروبي

المفتي العام يشيد بالعلاقات الفلسطينية الأوروبية

القدس: استقبل سماحة الشيخ محمد حسين -المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك- في مكتبه بالقدس سعادة السيد كريستيان برغر/ ممثل الاتحاد الأوروبي، حيث أطلع سماحته السيد برغر على الانتهاكات الخطيرة التي تقوم بها سلطات الاحتلال، وقطعان مستوطنيه ضد الشعب الفلسطيني ومقدساته، وأن هذه السلطات زادت في الآونة الأخيرة من الهجمة الشرسة لتهويد كل ما هو عربي وإسلامي في الأراضي الفلسطينية،

وبيّن سماحته أن سلطات الاحتلال قامت مؤخراً بالعمل على تهويد أسوار القدس، بوضع حجر لمشهد (الهيكل) على السور بجانب باب الساهرة، ورفع أعلام إسرائيلية على سور القدس؛ في محاولة لتغيير واقعه التاريخي، وكذلك المصادقة على تهويد حائط البراق وساحته، من خلال إنشاء كنس وأبنية لا تمت للمكان بصلة، مؤكداً على أن جميع المحاولات التي تقوم بها سلطات الاحتلال لعبرنة المقدسات الفلسطينية سوف تبوء بالفشل؛ لأن الاحتلال لا يدوم، وأكد سماحته على أن الشعب الفلسطيني يتوق للتحرر وتحقيق كيانه السياسي، وأن رفاهة العيش لا تأتي بوجود الاحتلال على الأرض الفلسطينية، وأن قيام دولة فلسطينية يساعد في تحقيق الاستقرار والسلام في المنطقة، وثمن سماحته المواقف الإيجابية والمهمة التي ينتهجها الاتحاد الأوروبي لدعم الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، مبيناً أن هذه المواقف تزيد من توطيد العلاقات الفلسطينية الأوروبية.

من جانبه قدم الضيف شرحاً حول الخدمات التي يقدمها الاتحاد الأوروبي للشعب

الفلسطيني، مؤكداً على أن من حق الفلسطينيين العيش بحرية وسلام واستقلال، وأنه يجب حل قضية القدس، وجميع النقاط الخلافية بالتفاوض، مشيداً بمتانة العلاقات الفلسطينية الأوروبية.

المفتي العام يشارك في مؤتمر حول القدس في مدينة السلط

القدس – عمان: شـــارك سماحة الشـــيخ محمد أحمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلســـطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– في فعاليات مؤتمر (الاعتداءات الإسرائيلية على مدينة القدس ومستقبل المدينة)، الذي عقد في جامعة البلقاء التطبيقية في مدينة السلط الأردنية، وقدم سماحته ورقة عمل بعنوان (القدس والمســـجد الأقصى في بؤرة اســـتهداف الاعتداءات الإسرائيلية)، تناول فيها أوضاع القدس والمسجد الأقصى المبارك، والانتهاكات التي يتعرضان لها على يد المســـتوطنين الحاقدين، وأهداف الممارسات الإسرائيلية التي تهدد بتدميره وهدمه– لا سمح الله – والسعي لإقامة الهيكل المزعوم مكانه، أو في ساحاته، وإحاطته بالكنس والوحدات الاســـتيطانية، والتضييق على ســـكان القدس، وطمس المعالم العربية والإســـلامية فيها، والحفريات، والاعتداء على المقابر، وقد حث سماحته المجتمع الدولي على ضرورة التدخل لحماية المدينة المقدســـة، ووضع آليات لدعم الفلسطينيين ومقدساتهم قبل فوات الأوان.

مشيداً سماحته بالدعم الذي تقدمه المملكة الأردنية الهاشمية ملكاً وحكومةً وشعباً للقضية الفلســـطينية، وبخاصة للمســـجد الأقصى المبارك، مقدماً الشكر لكل من يقف إلى جانب الشـــعب الفلسطيني في محنته ضد الاحتلال الإسرائيلي.

المفتي العام يعزي السفير المصري بضحايا تفجير الإسكندرية

القدس: قام سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك– على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بزيارة للسفير المصري لدى السلطة الوطنية الفلسطينية السيد ياسر عثمان، معزياً بضحايا تفجير كنيسة القديسين في الإسكندرية، وقال سماحته: إن هذا التفجير عمل إجرامي يستهدف وحدة الشعب المصري، ويتنافى مع الدين والقيم الأخلاقية النبيلة، وشدد سماحته على أن الفتنة دخيلة على الشعب المصري، مؤكداً على أن أبناء الشعب المصري قادرون على تجاوز هذه الأزمة وأهدافها الإجرامية.

بدوره شكر السيد عثمان سماحته والوفد المرافق على هذه اللفتة الكريمة، مشيداً بالعلاقات الأخوية التي تربط بين الشعبين المصري والفلسطيني، مؤكداً على أن الحادث الإجرامي لن يزعزع من وحدة المصريين، ولن يهز نسيجهم الاجتماعي، ولن يؤثر على استقرار وطنهم، وأن مصر قادرة بقيادتها الحكيمة، وشعبها الموحد على الوصول إلى بر الأمان، بعيداً عن الإرهاب والتطرف.

وضم الوفد الذي رافق سماحته فضيلة الشيخ إبراهيم عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية، مفتي محافظة رام الله والبيرة – وفضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح/ مدير عام البحوث، والسيد محمد جاد الله/ نائب المدير العام للشؤون الإدارية والمالية، والسيد مصطفى أعرج/ نائب المدير العام للإعلام والعلاقات العامة، والسيد بلال الغول/ مدير الدائرة المالية.

مفتي محافظة نابلس يشارك في مؤتمر يوم القدس

نابلس: شارك فضيلة الشيخ أحمد شوباش– مفتي محافظة نابلس – في مؤتمر يوم القدس الحادي عشر بعنوان (القدس في الضمير العربي والإسلامي)، الذي عقد في جامعة النجاح الوطنية حيث قدم فضيلته

بحثاً بعنوان"الموقف الإسلامي من القدس بين الواقع والمأمول" تطرق فيه إلى احتياجات القدس، ودعا إلى ضرورة دعم الفلسطينيين من أجل الاستمرار في ثباتهم ومواجهة التحديات الإسرائيلية.

ومن جانب آخر ألقى فضيلته العديد من خطب الجمعة في مساجد المحافظة، تحدث فيها عن موضوعات مختلفة، كما ألقى محاضرة لمدارس الروضة حث فيها على العلم والأخلاق الحميدة، بالإضافة إلى مشاركته في العديد من البرامج والحلقات الإعلامية، أجاب فيها عن استفسارات المواطنين في جميع نواحي الحياة.

دار الإفتاء في محافظة أريحا والأغوار والشرطة تطلقان مشروع (تأهيل السجناء الجنائيين)

أريحا والأغوار: شرعت دار الإفتاء الفلسطينية والشرطة في محافظة أريحا والأغوار بتنفيذ مشروع يهدف إلى تأهيل السجناء الجنائيين، ونزلاء مركز الإصلاح والتأهيل، الذي يهدف إلى نشر الوعي الديني بين صفوف النزلاء، ومحاولة إخراجهم من دائرة الإجرام، وتمكينهم من خدمة عائلاتهم، والعودة إلى الانخراط في المجتمع بعد خروجهم من السجن، وعدم العودة لارتكاب الجرائم والجنايات، وقد بين فضيلة الشيخ محمد يوسف/ مفتي محافظة أريحا والأغوار ضرورة توعية هؤلاء السجناء، بُغية عودتهم إلى طريق الصواب، والابتعاد عن الآثام والمعاصي، والتكفير عن السيئات، داعياً إلى احترام القوانين، والحفاظ على علاقة طيبة مع رجال الشرطة.

في حين بيّن المقدم محمود صلاح الدين/ مدير شرطة محافظة أريحا أن الشرطة وإدارة السجون تولي تأهيل السجناء اهتماماً كبيراً، كما شارك فضيلته في افتتاح مؤتمر مناقشة مشروع قانون العقوبات الفلسطيني، حيث قدم بعض الملاحظات على مسودة المشروع، داعياً إلى ضرورة الأخذ بها في إعداد القانون بشكله النهائي.

مسابقة العدد 95

أسئلة المسابقة:

السؤال الأول: مـــــــا ... ؟

1. رأي زفر -من أصحاب أبي حنيفة- في حكم الاشتراك في ذبح القُرَب، عند اختلاف جهة القربة؟
2. الأمور الخمسة التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعطهن أحد قبله؟
3. المقصود بالمكان القصي في قوله تعالى {فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً}؟
4. رقم قرار مجلس الإفتاء الخاص بتحريم نبش القبور؟
5. اسم القس الذي نادى بحرق القرآن الكريم في ولاية فلوريدا؟
6. اسم زوجة عمر بن الخارث، عمة عبد الله بن الأرقم؟
7. معنى النمارق؟
8. اسم سفير جمهورية مصر العربية الحالي لدى السلطة الفلسطينية؟

السؤال الثاني: مـــــــن ...؟

1. الصحابي الذي روى له البخاري حديث سير الراكب من صنعاء إلى حضرموت دون خوف؟
2. الصحابي الذي قال حين حضرته الوفاة: وافرحتاه، غداً ألقى الأحبة...؟
3. الذي وهب زيد بن حارثة للنبي ﷺ قبل البعثة؟
4. القائل ...؟

أ. (لأن أرمي رجلاً بسهم أحب إليّ من أن أرميه بلساني)

ب. (ترك الحكمة غفلة)

ج. (ما تكلمت كلمة، ولا فعلت فعلاً، إلا أعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل)

السؤال الثالث: مـتـــــى...؟

1. بدأت الانتفاضة الثانية؟
2. قتل باروخ غولدشتاين خمسة وثلاثين مواطناً فلسطينياً؟

تنبيه: يمكن استخراج إجابة أسئلة المسابقة من محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 300 شيكل

الجائزة الثانية: 250 شيكل

الجائزة الثالثة: 200 شيكل

ملحوظتان :

- يرجى كتابة الاسم الثلاثي حسب ما ورد في البطاقة الشخصية (الهوية)، والعنوان البريدي، ورقم الهاتف وكتابة الإجابات بخط واضح.
- ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء، العدد 95

مجلة الإسراء / مديرية العلاقات العامة والإعلام

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

إجابة مسابقة العدد 93

السؤال الأول: ما ...؟

ج . طريقتي.
ج. عكاظ وذو المجنة، وذو المجاز.
ج. خير الدعاء.
ج. شرط لصحته.
ج. يسقط عنهما.
ج. الكحل.
ج. مقدار الأكل: فوق الجوع ودون الشبع، مقدار الضحك: حتى يسفر وجهك، ولا يعلو صوتك.

السؤال الثاني: من ...؟

ج. عبد الله بن عمرو بن العاص.
ج. علي بن أبي طالب.
ج. إبراهيم عليه السلام.
ج. د. حمزة ذيب.
ج. إبراهيم الحربي.

السؤال الثالث: متى ...؟

ج. على التراخي.
ج. 11 /9/ 2001م.
ج. في آب 2010م.

الفائزون في مسابقة العدد 93

المرتبة	الاسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأولى	ليث شريف عبد الرازق قاسم	طولكرم	300
الثانية	فلسطين محمد صلاح	جنين	250
الثالثة	معاذ يوسف عيسى خليفة	بيت لحم	200

ضوابط ينبغي مراعاتها عند الكتابة لمجلة الإسراء

حرصاً على التواصل بين مجلة «الإسراء» وقرائها الكرام، فإننا نتوجه لأصحاب الأقلام من الأدباء والمفكرين وأصحاب الفضيلة العلماء أن يثروا مجلتهم بالكتابة، للاستفادة من عطائهم الكريم، آملين أن تصل مشاركاتهم من خلال المقالات والأبحاث والقصائد الشعرية الهادفة، إضافة إلى ملاحظاتهم السديدة، علماً أن موضوعات المجلة متنوعة، تشمل المجالات الدينية والإنسانية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والتراثية والتاريخية، ويخصص لكل موضوع ينشر مكافأة مالية جيدة.

ونلفت الانتباه إلى ضرورة مراعاة قواعد الكتابة وضوابطها، ومنها :

1. طباعة المادة المراد نشرها على الحاسوب، وترسل عن طريق البريد الإلكتروني، أو باليد.
2. ألا يزيد المقال عن 5 صفحات حجم A4، والبحث عن 10 - 12 صفحة.
3. كتابة نصوص الآيات من المصحف الرقمي مع تشكيلها، وتوثيق أرقامها.
4. تخريج الأحاديث، وأن تكون مشكلة، وصحيحة.
5. التوثيق عند الاقتباس سواء من الإنترنت أو الكتب والمراجع والمصادر الأخرى.
6. عمل هوامش ختامية، تشمل المعاني والتوثيق ... إلخ.

نستقبل المراسلات على العنوان الآتي :

القدس : مجلة الإسراء / فاكس : 6262495 ص.ب: 20517

الرام : تلفاكس : 2348603 ص.ب 1862

E.mail : info@darifta.org - israa@darifta.org